خواطر

◆

اشباح من الناس

اولئك الذين لفظتهم الكرامات
اولئك الذين يقدسون الباطل
ويزهقون الحق
ويقيمون من المآتم اعراساً
اولئك الذين يزحفون على بطونهم
ويمرغون وجوههم بالاوحال
ويتلون كالافاعي
حتى تستقر جباهم على الاقدام
وشفاههم على النعال
فيسترسلوا في تقبيلها
ويمعنوا
هؤلاء الناس
اشباح من الناس

حسن تفاهم

لم ارَ اثنين يفهم احدهما ما يقوله الآخر
الا قيل انهما ابكمان
ولم ارَ احداً بين جماعة تتحدث
بقي محافظاً على بريق عينيه
الا قيل انه اصم
ولم ارَ احداً بقي محافظاً على اسارير وجهه
امام شتى المرئيات
الا قيل انه اعمى
ولم ارَ احداً يفهم جيداً ما يريد ويسعى اليه
الا قيل انه مجنون

طفل كبير

حياة المرء اربعة فصول .
تمثل الطفولة البريئة
والشباب الضاحك
والرجولة العاملة العابسة
والكهولة الهادئة
ويسدل الستار بعد كل فصل
ثم يرفع
الا في الفصل الاخير
وقد لا يرفع بعد الفصل الاول
او الثاني
او الثالث
وقد يرفع مرة
في الفصل الاول
فلا يسدل الا في الاخير

البير اديب

التوازن الاجتماعي

بقلم قدري قلعجي
رئيس تحرير مجلة « الطريق »

◆

التوازن الاجتماعي حلم من احلام الانسان ، هجس في خاطره وتوق الى تحقيقه في الازمان السحيقة منذ نشأ التفاوت بين فرد وفرد وفئة وفئة ، ومنذ شرع اناس ينكرون هذا التفاوت ويريدون ان يحيا الناس كلهم حياة مليئة متطورة .

فأفلاطون الذي شاهد اضطراب التوازن في المجتمع الأتيني واشتداد الخلاف بين طبقاته ، حاول ان يسن في كتاب «الجمهورية» وفي كتاب « القوانين » نظاماً جديداً للدولة تصبح الامة فيه كتلة متماسكة . والمسيحية التي نشأت في ظل الاستعمار الروماني واستبداد الحكام والكهنة ، بشرت بالحب والمساواة . والاسلام الذي اشرق في ظلمة الجاهلية وعصبيتها وتفاوت طبقاتها ، نادى باخوة البشر .

ثم تتابع المصلحون في الشرق والغرب وكلهم يحلم بالتوازن الاجتماعي ، ويطمح الى مجتمع ارقى من المجتمع الذي عاش فيه . من هؤلاء توماس موروس الذي تخيل في كتابه « الطوبية » انه من الممكن ان يزول النزاع بين البشر ويتم التوازن بين الطبقات عن طريق التربية . وقامبانيلا الراهب الايطالي الذي وضع في كتابه « دولة الشمس » نظاماً جديداً على اساس شيوعي خيالي . وروسو الذي قال في رسالته « منشأ التفاوت بين البشر » ان عدم المساواة في شروط المعيشة هو من صنع الحضارة وان البشر متساوون في الاصل ومفطورون على الخير . ومنهم ايضاً الفارابي صاحب « المدينة الفاضلة » الذي حاول ان يصور لابناء عصره كيف يكون المجتمع الامثل .

وهناك غيرهم كثيرون ، اشهرهم روبرت اوين في انكلترا ، وسان سيمون وفوريه ولوي بلان في فرنسا ، دعوا الى اصلاح المجتمع بتوحيد الثقافة والتربية والاعتراف بتساوي البشر في الحقوق .

ويلاحظ ان هؤلاء المصلحين ، ومن سبقهم ، وكثيرين ممن جاء بعدهم ، كانوا يجعلون الاخلاق اساساً للتوازن الاجتماعي ، ويعالجون معضلات الحياة المادية بطريقة مجردة لا تكاد تختلف عن طريقة البحث في ما وراء الطبيعة ، فلم يؤثروا كثيراً ولا قليلاً في سير التاريخ . وظل هذا التاريخ ينهج نهجه الاول : ظل تطور الفرد او تطور الجماعة يقف حائلاً دون تطور فرد آخر او جماعة اخرى ، لان تقدمهما مادياً وفكرياً لا يتم الا على حساب فرد آخر وجماعة اخرى .

ولكن ثمة امراً بدا جلياً في سير التاريخ . ظهر ان هذا التاريخ يتألف من مراحل مختلفة ، وان سنة التطور تقضي بان ينتقل المجتمع من مرحلة الى اخرى . كما ظهر ان كل مرحلة من مراحل التقدم الانساني كانت تتميز عن سابقتها بانها تيسر تناول النتاج المادي والفكري بحيث تستمتع به فئة جديدة من الفئات الاجتماعية التي لم تكن تستمتع به من قبل .

ومن الواجب ان ننوه هنا بان المرحلة الاخيرة التي بلغها التقدم الانساني بصعود البورجوازية وانهيار الاقطاعية في اوربا واميركا ، كانت اعظم هذه المراحل ، لانها افسحت مجال التطور امام عدد اكبر من الناس ، وأعلنت حقوق الانسان الطبيعية ، وجعلت الامة مصدر السلطات ، ومارست النظم الديموقراطية واعترفت بان الفروق الاجتماعية ، لا يصح ان تقوم الا على اساس المنفعة العامة .

الا ان هذه الاصلاحات كلها لم تستطع ان تحقق التوازن الاجتماعي المنشود . وانقسم الناس في شأن هذا التوازن الى فريقين : فريق يقول باستحالته وفريق يقول بانه اذا كان مستحيلاً في الماضي فقد أصبح اليوم ممكناً نظراً لتوفر الشروط المادية اللازمة لتحقيقه . ففي تطور الصناعة ، ورقي اساليب الانتاج ، وتقدم وسائل النقل والمواصلات ، اسباب تكفي اذا تنظمت تنظيماً عادلا ، لكي يتم التوازن الاجتماعي : اي لكي ينعم كل فرد من افراد المجتمع باوفى ما تؤهله اليه كفاءاته من نعم الحياة ، في

راجع مجلة الاديب العدد التاسع شهر ايلول ١٩٤٢ صفحة ٣

نظام لا يكتفي بحرية العمل والثقافة والتمثيل النيابي ، بل يمنح الناس الشروط المادية اللازمة لممارسة هذه الحقوق والحريات .

امام هذه الفكرة المنبثقة من صميم التطور التاريخي المحتوم ، وقف قوم يزعمون ان التوازن الاجتماعي لا يتم الا بفناء الفرد او الافراد على مذبح الطبقة الحاكمة . هؤلاء هم دعاة الفاشيستية والنازية في ايطاليا والمانيا وغيرهما ، هالهم سير التطور القاضي باتساع الديموقراطية اتساعاً يحطم امتيازاتهم ويعطي الحياة لمن يستحقونها ويحرمون اليوم منها ، فارادوا ان يعودوا بالعالم الى الوراء ، ولجأوا في تحقيق ذلك الى النظم التعسفية وهمجية القرون الاولى ، حتى حسب الناس ان اسس الديموقراطية زلزلت وان مصيرها قد غدا في كفتي ميزان .

لكن النظم الديموقراطية المنشودة لا بد من ان تسود كما سادت النظم الديموقراطية الحديثة والناس لن يتخلوا عن حرياتهم بعد ان جاهدوا طويلاً لنيلها ، بل سيبلغون بها غايتها . وليس من الممكن ان تنقطع وتخفق حركة تطورت خلال اجيال التاريخ ، وخلقتها خبرة الجماعات التي تعاقبت منذ آلاف السنين في كل ناحية من نواحي العالم ، بل ستواصل هذه الحركة سيرتها وتزداد قواعدها رسوخاً .

وهذا التوازن الاجتماعي الذي كان حلماً بعيداً من احلام الانسان ، يكاد يصبح اليوم حقيقة ملموسة ليس بينه وبينها الا خطوات لا تعيا بها قدرة الانسان الذي آمن بان التفاوت قد اصبح عائقاً يحول دون تطوره ، وبان التوازن قد اصبح مستطاعاً لان الشروط اللازمة لتحقيقه قد توافرت .

ونحن العرب الذين نتوق الى نظام ارحب من نظامنا يتاح لنا فيه من الفرص اللازمة للتمتع بحقوقنا والقيام بواجباتنا اكثر مما اتيح لنا في اي وقت ، لا يسعنا الا ان نكون الى جانب الديموقراطية التي تفتح ميدان السعي الى ديموقراطية اعلى فأعلى ، والسير بالنتاج المادي والفكري الى اوج أرقى فأرقى ، وافساح مجال التطور امام عدد من الناس اكبر فأكبر .

ولا يسعنا ، ونحن نضع نصب اعيننا هدفاً عظيماً هو بناء امتنا والسير بها الى الامام ، الا ان نحارب تلك الردة النازية التي تحاول ان ترجع بالانسانية الى الوراء في ميادين العلم والاقتصاد وانظمة الحكم ، اينما ظهرت هذه الردة وكيفما ظهرت ، ولا يسعنا الا ان نحارب في بلادنا النظم الرجعية التي تحول دون صعودنا الى مرحلة ارقى من المرحلة التي بلغناها .

واول الاهداف التي يفرضها علينا التطور التاريخي ان نترسم خطى القافلة التي سبقتنا فنتجند جميعاً لمحاربة النظم الرجعية التي تفرض على الشعب لوناً من الحياة جائراً عتيقاً يقيد تفكيره ويحد طموحه ويفدح الفلاحين ، وهم الفئة الكبيرة من فئات المجتمع ، بنير الجهل والبؤس والحرمان .

الامم الصناعية تحكم الامم الزراعية . هذه حقيقة يجب ان نعرفها ، وان نعرف معها انه لا سبيل لنا الى الحرية الصحيحة ، ولا رجاء لنا حتى في تعميم التعليم وتحرير المرأة ، الا اذا دخلنا ميدان الصناعة .

ان الفرد الاميركي يملك بحساب القوة نحو ستة وثلاثين حصاناً ، في حين ان الفرد السوري لا يملك سوى حصان او حصانين ، لان الاول يستخدم الآلة ، ولا يستخدم الثاني سوى يديه ، فيجب ان نحرر ابن وطننا من عبودية العمل ، وبدلا من ان يكون عبداً للمادة كما هو اليوم نجعله سيداً لها .

ان بلادنا العربية التي تؤلف اليوم وحدات اقتصادية صغيرة ضعيفة فقيرة ، يمكن ان تصبح كتلة اقتصادية كبيرة قوية تكفي اكثر حاجاتها بنفسها اذا تحققت فيها مشاريع الاحياء ، وسادت الاساليب العملية الحديثة شؤون الزراعة ، ونبشت بطن الارض عما فيها من كنوز دفينة ، وانشئت في شتى المدن مصانع محلية تفيد من خامات البلاد وتحولها الى نتاج راق يغنينا عن استجداء الامم الصناعية .

فيا ايها الشباب ، يا اخواني ، ان اول ما يفرضه علينا وطننا من واجبات ، هو ان لا ندع للرجعيات مهما كان لونها ومصدرها ، سبيل الوقوف امام تطورنا ، وان لا نعيش جماعات متفاوتة بينها من البعد ما بين الغنى والفقر ، والعلم والجهل ، والنور والظلمة ، والانسان والبهيمة .

ان العالم المتمدن يسير الى الامام ، ويقضي شيئاً فشيئاً على التفاوت بين افراده وطبقاته ، ونحن لا نزال نلوي باعناقنا الى الوراء ، ونتمسك باغلاط بائدة من العلاقات الاجتماعية وبنظم متحجرة فقدت مرونتها وبطلت صلاحيتها ونعيش طبقات بعضها فوق بعض في عصر اصبح فيه الشرط الاساسي لبناء امة متماسكة جديرة بالحياة هو التقريب بأقصى ما يستطاع بين افرادها وطبقاتها بالقضاء على علاقات العبودية بين اولئك الافراد وتلك الطبقات .

قدري قلعجي

بناء الامة (٥)

التعاون الاجتماعي

بقلم البرت بدر
احد اساتذة جامعة بيروت الاميركية

◆

حديثي اليكم هذا المساء عن التعاون الاجتماعي كعنصر فعال في بناء الامة وعما يترتب على الشباب المسؤول من واجبات وما يعود عليهم من امتيازات بشأن ذلك العامل المدني الانشائي ·

ولا يفهم التعاون الاجتماعي فهما صائباً او تدرك جسامته ادراكاً حقاً الا في احضان تلك العملية الخلقية الكبرى التي ندعوها بناء الامة · والبناء على نوعين فبناء جسم جامد لا روح له كبناء البيت مثلاً وبناء جسم حي كجسم الانسان الطبيعي او كجسمه الاكبر المعروف بالمجتمع · وتختلف عملية البناء في الحالتين اختلافاً جلياً ·

اما بناء البيت فيستوجب خطة موحدة يولدها عقل المهندس فما ان يفرغ من وضعها حتى ينتهي القسم الاكبر من العملية الخلقية فيبيت حفر الاساس وشقع الحجارة وتركيب النوافذ عملا تطبيقياً صرفاً واسمى ما تصل اليه تلك العملية البنائية هو ان يجيء المبني طبقاً للخطة المرسومة له دون ان يترك لاي جزء من اجزائه حرية نموه بحسب مرماه الطبيعي او نظامه الخاص · لذلك نلحظ ان بناء الجسم الجامد قائم في اساسه على ارادة موحدة تنفي حرية اجزائه نفياً باتاً ·

وقد يساق البعض الى اقتباس هذه المقارنة دون اي تعديل عند تفكيرهم في بناء الجسم الحي · وهذا لعمري خطاء قد يقع فيه الكثيرون دون ان يدروا ان الجسم الحي يبنى من الداخل بنمو مختلف اعضائه نمواً مطابقاً لانظمة تلك الاعضاء الخاصة وليس بموجب خطة غريبة تفرض عليه من الخارج فرضاً · فالمجتمع مؤلف من اعضاء شتى كالحكومة والشعب وطبقات الزراع والتجار والموظفين والاحزاب السياسية والمذاهب الدينية والعائلة والرجل والمرأة · ولكل من هذه الاعضاء نظام نموه الخاص · ويفرض علينا بناء المجتمع ان نطلق الحرية لهذه الاعضاء لاتباع انظمتها الخاصة في نموها ·

وهنا يجب ان نقف هنيهة ونتأمل ، اذ يجب ان لا يغيب عن ذهننا الخطر الجسيم الناجم عن اعطاء مثل هذه الحرية لاعضاء المجتمع متناقضة مراميها متعارضة مقاصدها متخالفة مصالحها · فقد ينذر التمادي في اطلاق حريتها بانحدار المجتمع الى حالة فوضى ذريعة · فبينا نرى في بناء الجسم الجامد وحدة صابة يقوم حولها البيت مثلاً نجد في بناء المجتمع تنوعاً غريبا لو قضينا عليه لقضينا على نمو المجتمع ولو تركنا له اللجام لجمح بنا الى الفوضى · وهذا ما يجعلنا نقول ان مشكلة المجتمع الكبرى هي مشكلة ايجاد وحدة اساسية تستنبط من تنوعه وتربط ذلك التنوع بها ، وهذه العملية اعني عملية استخلاص الوحدة من التنوع المجمعي لا تجيء الا بالتعاون الاجتماعي ·

والتعاون الاجتماعي على ثلاثة انواع : فالنوع الاول هو تعاون بين افراد فئة متجانسة متحدة المصلحة كالتعاون بين المزارعين او التجار او الاساتذة او المحامين والنوع الثاني هو التعاون بين فئتين مكملة احداهما للاخرى كالتعاون بين الحكومة والشعب او العامل وصاحب المصنع او المزارع والملاك او الرجل والمرأة · والنوع الثالث هو التعاون بين فئتين متعارضتين كالاحزاب السياسية والمذاهب الدينية ·

ولو تفحصنا مجتمعنا العربي وقابلناه بالغرب لادهشنا افتقارنا الى التعاون الاجتماعي فنحن من هذه الناحية لانزال اطفالا رضعاً · اني لا انكر ان هنالك بعض الدلائل على وجود النوع الاول من التعاون في مجتمعنا اي التعاون بين افراد فئة متجانسة · فهناك مثلاً غرف تجارية للسهر على مصلحة التجار ونقابات محامين واطباء ومحاولة نبيلة للبدء في جمعيات تعاونية بين بعض الفلاحين ولكن اذا قابلنا هذه المؤسسات هنا بما يشابهها في الغرب الفيناها هياكل فاقدة الروح

عديمة الحيوية والفعالية .

واما النوع الثاني اي التعاون بين فئتين متكاملتين فهو اقل انتشاراً وتأثيراً عندنا حتى من النوع الاول . فلم اسمع قط بصاحب مصنع في بلادنا ينظم برنامجاً تهذيبياً لعمال مصنعه ، او بملاك يبذل الجهد والمال في سبيل رقي وراحة الفلاحين العاملين في املاكه ، ولا عثرت بعد على بلد تنظم لجانها من تلقاء نفسها طوعاً واختياراً لمناصرة مجلسها البلدي في اعماله .

واما اذا جئنا على النوع الثالث من التعاون بين عنصرين متضادين كالاحزاب السياسية فهناك المأساة الكبرى . فليس التعاون بين حزبين متعارضين مفقوداً عندنا فقداً كلياً فحسب بل التفكير في امكانية وجوده ناهيك عن ضرورته منفي نفياً جازماً حتى من مخيلتنا . فهدف الحزب السياسي في نظرنا هو القضاء على الحزب الاخر باية وسيلة ممكنة ولو كلفه الامر القضاء على نفسه . ففهمنا للتعاون الاجتماعي معكوس التركيب اذ انه لايزال يرتكز على الفلسفة الفنائية القائلة علي وعلى اعدائي يارب بدلا من لي ولاعدائي يارب .

فاذا شئنا ان نشيد مجتمعنا صرحاً متيناً فلا بد لنا من تعميم التعاون الاجتماعي على مختلف انواعه . وهنا تتجلى لنا وظيفة الشباب المسؤول في هذا المضمار . فللشباب ميزات خاصة لا ينعم بها سواهم تمكنهم من العمل بنجاح في هذه القضية الحيوية . فالشباب اولا ان بنى فهو يبني لنفسه اذ بناء المجتمع لا يقوم بين عشية وضحاها . فاذا شرع الشباب في بناء المجتمع اليوم فقد يحصدون بعض ثمار جهودهم في مجتمع الغد ، ومجتمع الغد في قبضة شباب اليوم يهيئونه لانفسهم ولاولادهم . ثانياً الشباب لم يقع بعد فريسة للتعصب والرجعية الفتاكة فيسهل عليهم اذاً اقتباس الجديد في طرق التعاون دون وجل او تردد . والشباب ايضاً مخاطر مغامر وبناء الامة والتعاون الاجتماعي لا يجيء عن يد قوم متحفظين خائري القلوب . ومن ثم شبابنا اليوم اكثر تثقيفاً من اسلافهم فهم اذاً اقوى على ادراك هذه الحقائق المجتمعية واشد تأثراً بها ولذا فهم اكفأ من ابائهم على مجابهتها .

ولكن اذا كانت هذه ميزات الشباب فمن الحق ان لا تغيب عن ذهننا نقائصهم وهي عديدة اذكر لكم بعضها . فالشباب متسرع والتعاون الاجتماعي يتطلب في كثير من الاحيان حنكة وروية وصبراً وقد يسوق الشباب اندفاعه لهدم ما يريد بناءه . والشباب ايضاً سريع اليأس فهو غير رابض على خبرة عميقة عتيقة تنفث في نفسه روح المثابرة امام المصاعب فقد تقوده العقبات الاولى في ميدان العمل الاجتماعي الى الانسحاب والتعاون الاجتماعي يحتاج الى مثابرة غريبة . اضف الى ذلك ان الشباب قصير النظر فهو يميل الى التعلق بالقضايا ذات النتيجة السريعة دون القضايا ذات الاسس المتينة التي تعطي ثمرها ولكن بعد زمن طويل . ومن ثم الشباب طائش يسعى وراء الملذات وبتصلف يستهزئ بالامور الجديدة فقلما تجده يحيا هذه المشاكل الاجتماعية بعنف وتتزق في فؤاده ولست ادري كيف يولد مجتمعنا الجديد دون اوجاع الولادة .

اذا ادرك الشباب بعد فحصه لنفسه ميزاته ونقائصه هذه فعليه بعد ذاك ان يقوم باعباء المسؤولية الاجتماعية الملقاة على غاربه . والقيام بهذه المسؤولية الخطيرة يستوجب استعداداً روحياً نظرياً مقروناً بعمل تطبيقي اجتماعي فيجب على الشباب اولا ان يفهم اهمية نمو الفئة الاخرى فهماً عميقاً . فالمجتمع مؤلف من عناصر وفئات متجانسة ومتكاملة ومتعارضة وكلها تشترك نهائياً في بناء الامة . فنمو كل منها شرط لازم لنمو المجتمع ، ولو شل احدها لضعف البناء . وفهم هذه الحقيقة يقود الشباب للتسامح بنمو الفئة المعارضة وان لم يشترك فعلاً في انمائها ، وللعمل الدائب على انماء الفئة المكملة وتقويتها لكي تتقوى بها الفئة المكملة ، ولتحمل التضحية الناتجة عن نمو الفئة الاخرى . فالمجتمع مجموعة من التضحيات الشخصية والطبقية والحزبية يبررها ثمر البناء الكامل .

ومتى اطمأن الشباب الى هذا الاستعداد الروحي في نفسه استطاع اذ ذاك ان يلج ميدان العمل التطبيقي الاجتماعي بقدم ثابت مشتركاً بجرارة ورزانة وفهم وعمق في التخصص العلمي العملي والتهذيب المدني والتنظيم الطبقي والحزبي والمجتمعي . فانا اذا ناشدنا امة تقوم على اسس قوية تحتم على الشباب فيها ان يدرك ان بناء تلك الامة انما هو بناء جسم حي لا يتم نموه الا بالتعاون الاجتماعي ، وان هذا التعاون بين مختلف عناصر الامة المتجانسة والمتعارضة على السواء لا يجيء الا ببذل جهود حكيمة يقوم بها الشباب لان للشباب ميزات فريدة تخوله رغم نقائصه الكثيرة تحمل هذه المسؤولية الجسيمة ولكن ليس الا بعد ان يعد الشباب نفسه روحياً نظرياً ويستخدم فتوته ونشاطه في الاعمال الاجتماعية الانشائية .

البرت بدر

اساس الدولة الاقتصادي في الداخل

بقلم جورج حكيم
استاذ الاقتصاد بجامعة بيروت الاميركية

◆

عندما كتب ادم سميث مؤسس علم الاقتصاد السياسي كتابه المشهور وضع له العنوان الآتي «بحث في ماهية واسباب ثروة الامم» . ومنذ ذلك الحين اي منذ اكثر من مئة وستين سنة يعنى علماء الاقتصاد بدرس المبادىء التي بموجبها تنشأ الثروة الاجتماعية وتتوزع بين افراد المجتمع ، وايجاد الطرق التي تمكن الامم من زيادة ثروتها وبناء حياتها الاقتصادية على اساس متين . ومهما تظهر لنا مبادىء علم الاقتصاد نظرية بعيدة عن الواقع فان هدفها النهائي هدف عملي واضح وهو منفعة الانسان بتحسين معيشته وتأمين راحته ورفاهيته .

اننا في محاولتنا بحث « اساس الدولة الاقتصادي في الداخل » انما نتوخى معرفة البناء الاقتصادي الاساسي للدولة ، ذلك البناء الذي يساعد الدولة على تأمين الثروة والرفاهية لافرادها . لذلك كان السؤال الاول الذي يجدر بنا الاجابة عليه : ما هو هدف الدولة الاقتصادي وما هي الثروة الاجتماعية التي تسعى لانمائها ؟

ان هدف الدولة لا يختلف عن اهداف افرادها . فما الدولة الا مجموع الافراد منظمين تنظيماً سياسياً يجعلهم وحدة مستقلة عن باقي الدول . وهذه المنظمة السياسية التي نسميها الدولة لها سلطتها ومقدرتها على توحيد اهداف الافراد في هدف اجتماعي واحد . ولما كان هدف الفرد ان يحيا حياة سعيدة مثلى كذلك كان هدف الدولة ان تؤمن لافرادها تلك الحياة السعيدة المثلى ، على حد قول احد الفلاسفة ان الانسان يسعى اولاً الى تأمين الحياة ومن ثم الى الوصول الى الحياة الفضلى . فاذا اخذنا هذا القول كتعريف عام لهدف الفرد الانساني نجد انه يحتاج لكي يحقق هذا الهدف الى اشياء مادية مختلفة : يحتاج اولا الى مختلف المأكولات والملبوسات وادوات السكن الضرورية لتأمين الحياة . وكذلك يحتاج الى اشياء مادية كثيرة لكي يجعل حياته حياة فضلى كأدوات العلم والفن والادب . ففي سعيه نحو المعرفة والحب والخير والجمال لا بد له ان يستعمل مواد مختلفة نذكر منها على سبيل المثال : الكتب وادوات الموسيقى والتصوير وادوات المختبرات العلمية . وما مجموع هذه الاشياء المادية ان كانت ضرورية للحياة او كانت مساعدة للوصول الى الحياة الفضلى ، الا ما نسميه في علم الاقتصاد : الثروة . فالثروة هي اشياء مادية يطلبها الانسان لسد حاجاته والوصول الى امانيه ولكنها تحتاج الى جهد للحصول عليها لانها محدودة الكمية بالنسبة الى الحاجة اليها . وهذه الصفة الاخيرة للثروة اي كونها محدودة الكمية تضطرنا الى الاقتصاد بها ، فتنشأ المعضلة الاقتصادية العامة للانسانية اذ لو كانت جميع الاشياء المادية كثيرة كالهواء والماء لما كانت هناك حاجة للاقتصاد ولما كان هنالك مبرر لعلم الاقتصاد .

ولما كان الفرد يسعى الى الثروة لتحقيق اهدافه النهائية مهما كان نوعها ، كان هدفه الاقتصادي هو الهدف الاول والاساسي اذ بدونه لا يمكنه تحقيق اي هدف آخر . وهكذا الدولة تسعى لتأمين الثروة لافرادها وانماء ثروة مجتمعها متخذة هذا الهدف الاقتصادي اساساً لجميع الاهداف الاجتماعية الاخرى .

ولكن الثروة شيء نسبي والدولة تكون ذات ثروة كبيرة او صغيرة بالنسبة الى كمية الثروة التي يتمتع بها شعبها والى عدد ذلك الشعب . فكثير من الدول الصغيرة اغنى من دول اخرى كبيرة لان نسبة ثروتها الى عدد السكان اعظم . ولكن كل دولة يمكنها ان تزيد ثروتها باستعمال مواردها وقواها الانتاجية حسب المبادىء الاقتصادية . ولو نظرنا الى المسألة من وجهة اخرى نرى ان الثروة معناها عدم الفقر . فلا تكون الدولة قد حققت هدفها الاقتصادي اذا بقي قسم من شعبها فقيراً . فالقضاء على الفقر اذاً غرض اساسي من اغراض الدولة . وليس الفقر شيئاً يأمر به الله او تحتمه قوانين الطبيعة انما هو على رأي العالم الاقتصادي مارشال المعضلة الاقتصادية الاساسية التي يجابهها المجتمع . وليس حلها بالمستحيل في عصرنا الحاضر عصر العلم والاختراع . فعلى الدولة تقع مسؤولية ازالة الفقر من المجتمع وبالتالي انماء الثروة العامة الى

اقصى حد ممكن .

في سبيل الوصول الى هذا الهدف تشيد الدولة بناء المجتمع الاقتصادي . وقد اختلفت المدارس الفكرية الاقتصادية في النظام الذي يؤمن للشعب اكبر ثروة ممكنة . ففي بدء القرن التاسع عشر اعتقد اكثر علماء الاقتصاد ان نظام الحرية الاقتصادية او كما سموه نظام « عدم تدخل الدولة » في الشؤون الاقتصادية هو الذي يؤدي الى اكبر انتاج ممكن للثروة . وربما كان ذلك الرأي صحيحاً بالنسبة الى درجة التطور الاقتصادي في ذلك العصر . اما في وقتنا الحاضر فقد اصبح اكثر المفكرين يعتقدون ان تدخل الدولة في الاعمال الاقتصادية واشرافها على الانتاج ضروريان لانماء الثروة العامة ولحل المشاكل الاقتصادية المتعددة التي نشأت في ظل نظام الحرية الاقتصادية . ويذهب بعضهم الى القول ان عمل الدولة يجب ان يتعدى التدخل في الحياة الاقتصادية الى تملك وسائل الانتاج وادارتها في نظام اشتراكي لمصلحة عامة الشعب . فعلى الدولة ان تختار بين هذه الانظمة الثلاث : نظام الحرية الاقتصادية ونظام التدخل والنظام الاشتراكي فتشيد بناءها الاقتصادي حسب المبادىء التي تؤمن اكبر ثروة ممكنة لشعبها مع اعتبار تطورها الاقتصادي وثروتها الطبيعية .

كل نظام اقتصادي يحتوي على تنظيمين : تنظيم لانتاج الثروة وتنظيم لتوزيع المنتوج بين افراد الشعب . فلنبحث هذين التنظيمين باختصار .

ان انتاج الثروة يتم ضمن النظام الاقتصادي العام حسب مبادىء ذلك النظام . ففي النظام الرأسمالي الحر كل شخص له الحرية في اختيار العمل الذي يريده وانتاج البضائع التي تعطيه اعظم ربح ممكن بالكميات التي يقررها بدون تدخل من الدولة . اما في النظام الاشتراكي فيخضع الانتاج للخطة العامة التي ترسمها الدولة . وليس لدينا مجال هنا للبحث في تنظيم الانتاج في الانظمة الاقتصادية المختلفة . انما نلاحظ ان مشكلة الانتاج واحدة في كل الانظمة وهو كيفية استعمال عوامل الانتاج بحيث تعطي اعظم نتيجة ممكنة .

كل دولة لها شعب ولها ارض . فالشعب يؤلف العامل الاول من عوامل الانتاج وهو العمل العنصر الحي والفعال في الانتاج والارض تعطي العامل الثاني وهو الثروة الطبيعية المؤلفة من ارض صالحة للزرع ومعادن واحراش ومياه وغير ذلك . ومن هذين العاملين يخرج عامل ثالث وهو الرأسمال ويتألف من جميع المنتوجات التي تستعمل في الانتاج مثل المواد الاولية والادوات والماكنات والبضائع نصف المصنوعة . وهذه العوامل الثلاث العمل والارض والرأسمال تشترك في عملية الانتاج بطرق مختلفة في كل الوحدات الانتاجية زراعية كانت ام صناعية ام تجارية .

ان المشكلة الاولى في تنظيم الانتاج هي معرفة نوع البضائع التي يجب انتاجها وتحديد كميتها . فان عوامل الانتاج محدودة ، ولذلك يجب ان نختار البضائع التي تستعمل هذه العوامل المحدودة في سبيلها ولكن اختيار البضائع يجري في النهاية حسب طلب الافراد كما يظهر من شرائهم البضائع في الاسواق . وكل اختلاف بين البضائع المطلوبة والبضائع المنتجة يؤدي الى تحويل الانتاج لكي يتفق مع الطلب . ففي نهاية الامر يرجع امر تعيين البضائع التي يجب انتاجها الى رغبات الشعب ولكن الدولة يمكنها ان تهذب الشعب الى ما هو خير له وتشجع انتاج ما هو نافع ومرغوب فيه من وجهة نظر المصلحة العامة .

ان نجاح النظام الاقتصادي في انتاج اكبر ثروة ممكنة يتوقف على حل ثلاث مشاكل اساسية :

اولا — استعمال جميع عوامل الانتاج الموجودة من عمل وثروة طبيعية ورأسمال .

ثانياً — توزيع هذه العوامل بين حقول الانتاج المختلفة وبين الوحدات الانتاجية في كل من هذه الحقول لكي يحصل الشعب على البضائع التي يحتاجها بالكميات اللازمة .

ثالثاً — جمع عوامل الانتاج مع بعضها البعض بالشكل الذي به تعطي اكبر نتيجة ممكنة من البضائع المطلوبة . وهذا هو معنى الاقتصاد . الاقتصاد ليس التقتير او البخل في استعمال الوسائل الموجودة لدينا . بل هو استعمال كل ما عندنا من موارد وقوة انتاجية بالطريقة التي تعطينا اكبر نتيجة ممكنة .

عندما ننظر الى انتاج بلادنا من هذه الوجهة نرى اننا فشلنا فشلاً فاضحاً في حل المشاكل الانتاجية التي ذكرناها . وذلك يرجع للاسباب الآتية : ان قسماً هاماً من ثروتنا الطبيعية متروك بدون استثمار . ان عدداً كبيراً من رجال مدننا يضيعون اوقاتهم في المقاهي بدلاً من ان يعملوا عملاً منتجاً واكثرية الفلاحين في قرانا يصرفون فصل الشتاء بدون عمل مجد . ان اصحاب رؤوس الاموال في بلادنا يخزنون اموالهم او يوظفونها في شركات اجنبية بدلاً من ان يستعملوها في اعمال انتاجية مثمرة واخيراً ان الوحدات الانتاجية تستعمل الطرق القديمة العقيمة بدلاً من استعمال الوسائل الفنية الحديثة . فلا شك اذن ان قسماً كبيراً من قوانا الانتاجية يهدر هدراً بيناً نرى القسم

الذي يستثمر يساء استعماله فلا يأتي بالنتيجة المرغوبة . والسبب الاساسي في ذلك ان نظامنا الانتاجي متروك لان يدير نفسه بنفسه فيتخبط في فوضى عمياء بدون اي اشراف او ارشاد من الدولة . فتكون النتيجة ان القسم الاكبر من شعبنا يعيش في حالة فقر مدقع مع ان بلادنا غنية في امكانياتها بالنسبة الى قلة عدد سكانها .

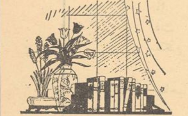
وهنا ننتقل من انتاج الثروة الى توزيعها بين افراد الشعب ولا نعني هنا بالتوزيع نقل البضائع من المنتجين الى المستهلكين فذلك عمل متمم للانتاج ويمكن ان يعتبر فرعاً منه . انما نعني بالتوزيع قسمة الثروة المنتجة بين افراد الشعب الذين اشتركوا في انتاجها . والتوزيع له اهمية كبرى لان الثروة ربما كانت كبيرة انما توزيعها قد يجعل بعض افراد الشعب يحيون في بحبوحة وترف لا يحلم بها وآخرون يعيشون في فقر مشين . فالتوزيع العادل اذاً ضروري لتحقيق هدف الدولة الاقتصادي الا وهو تأمين الثروة والرفاهية لافرادها . ولا يسعنا هنا بحث موضوع العدالة في توزيع الثروة . انما نكتفي بالقول ان الانظمة الاقتصادية المختلفة لها انظمة خاصة للتوزيع . ففي النظام الرأسمالي الحر يحصل كل من العامل والرأسمالي وصاحب الارض على حصة من المنتوج حسب المبدأ الاقتصادي المعروف بقانون العرض والطلب . اما في النظام الاشتراكي حيث الدولة تمتلك الارض والرأسمال فتوزع الثروة المنتجة بين العمال كل حسب مقدرته واهمية عمله . ولكن الدولة تحتفظ بقسم من المنتوج السنوي لاجل زيادة الرأسمال العام وانماء انتاج الثروة في المستقبل .

ان البناء الاقتصادي الذي رسمنا خطوطه العمومية باختصار اصبح في عصرنا الحاضر عصر العلوم والاختبارات معقداً ومتماسك الاطراف . وقد سار التطور الاقتصادي شوطاً بعيداً واصبحت المشاكل الاقتصادية اعوص المشاكل التي يجابهها المجتمع الانساني . وهذا ما يجعل الامم المتمدنة الواعية تهتم لتنظيم حياتها الاقتصادية على اساس علمي صحيح . ولا شك ان الامة التي تنجح في هذا العمل الخطير ليس يمكنها فقط ان تؤمن الثروة والرفاهية لشعبها بل ايضاً ان تقوم باعمال عظيمة في سبيل تقدم العلم والفن وزيادة الخير في العالم فتؤدي بذلك رسالتها الى الانسانية في وقت احوج ما تكون فيه الانسانية الى الارشاد والهداية .

وانما تقع مسؤولية القيام بهذا العمل الجبار على الشبيبة الناهضة التي يجب ان تنفض عنها غبار الامس المتهدم وتعمل لبناء عالم الغد على اساس العلم الصحيح . فهل تستفيق شبيبتنا من سباتها الطويل فتعي مسؤولياتها تجاه امتها وتسعى الى فهم مشاكلنا الاجتماعية الاساسية فهماً عميقاً فتستعد لبناء مجتمع المستقبل بعقول عارفة وقلوب كبيرة وسواعد قوية . فتحيا بذلك الحياة الفضلى وتقوم بالعمل العظيم الذي ينتظرها . وما الحياة الفضلى الا معرفة صحيحة واعمال عظيمة .

جورج حكيم

من الادارة



١ — ابتداء من الجزء الرابع رفع ثمن الجزء الى ٥٠ غ. ل. عوضاً عن ٤٠

٢ — يبقى بدل الاشتراك على حاله . ولا يقبل الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني غير ان الادارة لا تتعهد بارسال الجزء الاول عن السنة الحالية لنفاد نسخه .

٣ — الاشتراك في الخارج على نوعين :

(١) جنيه مصري للخارج عموماً . ويعطي هذا الاشتراك صاحبه الحق في الحصول مجاناً على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة

(٢) ٧٥ قرشاً في فلسطين والولايات المتحدة — و٦٠ قرشاً لباقي الجهات — وهذا الاشتراك لا يعطي صاحبه الحق في منشورات الاديب

٤ — يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل .

٥ — كل المقالات والابحاث التي ترسل الى « الاديب » لا ترد الى اصحابها سواء انشرت أم لم تنشر

٦ — تكون جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندوق البريد ٨٧٨ بيروت — لبنان

العذاب الحي

يا حبّ عذّب عذّب فؤادي
ألهب عروقي أطفئ رشادي
وهات سهدي وخذ رقادي
ياحبّ عذّب عذّب فؤادي

سقيتُ روحي من الألم
فمن جروحي هذا النغم
وكلّ ما بي من العذابِ
يذوب حباً على كتابي
يفيضُ نوراً من الشعور
على مدادي
ياحبّ عذّب عذّب فؤادي

أهوى غزال من الحضر
ملء الخيالْ ملء الفكرْ
لمّا أتينا في الحب آيه
نمّت علينا عينُ الوشايه
لكنّ حبي دمي وقلبي
خمري وزادي
ياحب عذّبْ عذّبْ فؤادي

ياحبّ عذّبْ عذّب فؤادي
رأيتُ نوري عليك بادي
وسوف يبقى على رمادي
يا حبّ عذّبْ عذّب فؤادي

الياس ابو شبكة

موضوع الادب

بقلم امين نخلة

•

من اقاصيص الكاتب الانكليزي المطبق الصيت (اوسكار ويلد) على موضوع الادب هذه القصة — وهي نادرة النوادر في باب تعريف الادب، وما ينبغي له:

« كان في قرية من قرى الريف رجل أسِن، احبه القرويون للحكايات التي يركبها لهم في العشايا. وكان كسائر اهل القرية، يخرج على وجهه في الصبح، فلا يعود من المروج، وهاتيك الغيطان، الا وقد امسى مجهداً، مندلق النفس. فاذا جلس التوم في محضرهم على العشية، قالوا له: يا فلان هات. فيقول، مثلاً:

« رأيت في الغيضة حورية تنفخ في شبابة. ورأيت طائفة من صغار بنات الماء يرقصن حولها في حلقة!

« فيهتف الجماعة عالياً: ايه لك في هذه الحكاية الحلوة. قارو لنا من حوادثها وأطِل، يحفظك الله!

« فيستأنف مضيّه:

« ورأيت عند ملاعب الموج ثلاث خيلانات يسرحن شعرهن الاخضر بامشاط من ذهب.

قال (ويلد):

« ففي احد الايام خرج صاحبنا من القرية، في عنفوان الصبح، على غير عادته. (فتراءى) له، حقاً، هذه المرة، على الشاطئ، خيلانات ثلاث يسرحن شعرهن ويمشطنه، ولمح قرب الدغل حورية تنفخ في شبابة لبنات الماء... ففزع كثيراً، وامسك على ما في صدره! ولما تجمّع اهل القرية في محضرهم تلك الليلة، قال لهم:

« اما اليوم فاني لم ار شيئاً...».

والقصة رواها (ويلد) (لاندريه جيد) يوم نزل (ويلد) باريس، وكان يسأل صاحبه ان يروي له عما صنع في يومه المنصرم، فيسوق (جيد) ما وقع له من جلل ودقّ في الامور. فيقول (ويلد): « ويحك! تحدثني بهذه التوافه، فهل تراها جديرة بتحريك الشفة!!» ثم يقول: « نحن في دنياوين.. واحدة قائمة، لا حاجة الى الحديث عنها، وهي هذه الدنيا الماثلة، واخرى يجب الحديث عليها كثيراً لتقف على قدميها! وهي دنيا الفن». ثم افرغ قصة الفلاح اللسن والحورية والخيلانات وبنات الماء على مغزى ذلك.

*

من العجب ان يكون الادب مرآة الحياة — كما يقال — يراوح فيه جميع احوالها، من الالف الى الياء، وان يكون ثمة صعيداً منقطعاً عنها، ينبغي له ما لا ينبغي لها، حتى ليستطاع القول ان اخذ الادب، مثلاً، بالحادثة اليومية، التي تقع في الحياة، ليس في شيء من موضوع الادب. كأن الصنيع الفني والحياة، كالزهرة والتراب، سواء بسواء: تنبت الزهرة في التراب ولا تكون منه في اللون والشكل والشيمة، على كونها من محصله.

فالعمل الفني الذي يقام على الحقائق الماثلة نصب العيون، ابداً، ليس بالمكين المخلد. اذ الاخذ بالحادثة اليومية، والجريان المعتاد يفضي الى ادب دنيء، ولا ريب. وليس ادل في ذلك من قيام النوع (البطولي) وارتفاع قبته. فالذين صنعوا فيه، وجاؤوا بالبدائع، لم يعملوا وكدهم في الحقائق المكررة على نهج واحد، بل صرفوا اقلامهم الى حقائق فذة، لا تقع كل يوم على رصفات الشوارع ولا على ادراج الفنادق.. وتناولوا تلك الحقائق من (فوق) وجعلوها في اتزان عادل بين طبع الحياة وطبع الفن.

وحين يقال ان على الادب ان ينزل ساحة الحياة، يضرب في جهاتها الاربع، فلا يكون المعنى ان على الادب ان يأخذ بالحقيقة الوسط، او (بالبشرية) اليومية — اذا جاز ان يسمى هكذا سياق الحياة واتصال سردها!

ولقد فطن (ستاندال) في قصة (الاحمر والاسود) لهذه الدقيقة في الفن: فتناول الموضوع، هناك، من أحد انباء الصحف، وخلع عنه الاعتياد، وافرغ عليه من دواته ألوان الفن، حتى عادت القصة وهي من الاوابد الباقية.

والذي يقال في (ستاندال) (بالاحمر والاسود) يقال في (الجاحظ) بكتاب (البخلاء) . فالجاحظ) لم (يخلق) تلك الطائفة من اهل الشح خلق حواء وآدم ، بل نقل الجماعة من الحياة الى الصحيفة ، نقل فنان قادر ، يعرف كيف يحمل اليك الاشياء، وكأنها قد خلقت من جديد ! بخلافما وقع ، مثلاً ، (لابي هلال العسكري) في كتاب (الكرماء) . فلقد فشل صاحبنا هذا ، حيث وفق (الجاحظ) واتى بالعجب .

قال الكاتب الفرنسي المعروف (جاك ده لاكروتيل) ، في كتابه الجديد (Aveux Etudiés) الذي لم يخرج ادب الفرنسيين، قبل اليوم ، صنواً له في الموضوع :

« في انباء الهند (النيوزلاندية) ان البحارة في بعض البوارج قد ثاروا على الضباط ، فاحتبسوهم في الغرف ، واطاقوا البارجة في البحار الى غير ما وجهة .. وان جماعة الحكومة يجدون وراءهم عبثاً . فقلت في نفسي : سيقاتل الكتّاب على الموضوع ، ولا ريب ! فتحوّم القرائح طويلاً على جزائر (سماتره) ، تتخيل الهرج والمرج في عرض البحر ، وتتمثل الطيارات وهي ترمي البارجة بالنار والشواظ ، الى آخر ما هنالك . غير اني ارجو ان لا يقع واحد من الكتاب في الفخ ! فالقصة على ندورتها ، وغرابة حوادثها من اتفه المواضيع » .

فاذا قيل ان الحادثة الشاذة ليست من موضوع الادب، أفليس بالاجدر ان يقال كذلك في الحادثة المبتذلة ؟!

*

في غرّة الحداثة ، اذ مطفرة الماء في البركة ، جانب البيت ، هي شلال (نياغره) ، في الاعين الجديدة ، واذ باب الحديقة البعيد هو باب الدنيا ، واذ الخادم الهرمة سندبادة بحرية .. كنت كثيراً ما اجلس الى السندبادة ، في اخريات السهرة ، واشجار السنديان تضج تحت العاصفة ، والمطر، والليل المدلهم ، فتقص عليّ الخادم قصص البحر—وكنت لم ار البحر بعيني ، بعد — : فمركب يتزل الموج ، يمخر مئة شهر وشهر ، ثم لا يرجع .. وراية عليها الغبار من ارض بعيدة . ونوتية صفر وحمر . وبنات ماء ، نصفهن انسان ونصفهن سمك ، يرقصن على الشطئان . ورياح تهب في آخر الارض ، وتأتي على وجه الماء ، الى آخر ما في باب القصص على البحر العجيب . حتى اذا افرغت الخادم البحرفيخيلتي ، وطالت الساعات، غفوت على وجه الماء ، بين آلاف المراكب والرايات ، والنوتيــة ، وبنات البحر . فاذا طلعت تباشير النهار ، وخرجت بي السندبادة الى الحديقة ، وأقبلنا على البركة ، قلت لمولاتي :

— مسكين بحرنا هذا ! لا مركب فيــه ، ولا نوتي ، ولا بنت ماء ..

فتضحك الخادم عن مثل فوهة الجرة ، ثم تقول :

— البحر !؟ انه ارحب من الدنيا ، فاين منه بركة بيتنا !

فأقول ، وقد بهت ، وزمّ فمي كحديدة المطفرة :

— من الدنيا ؟!!

— نعم ، ارحب من الدنيا !

فأقول : انا ، اذن ، احبك قدر البحر ، فلو تقولين لي ما لونه؟

فتقول: لون الحمام الازرق ، وتغرق فيه الشمس فيحمومر .. ويزلق القمر في بعض الليالي ، من منحدر الشمال ، فيمسي البحر بركة فضة ..

وهكذا ظل البحر يشغل خاطري في الطفولة ، حتى اذا اوفيت على الشباب ، وهبطت من بلاد الادب، اول مرة ،تلقتني، خلف الشطوط ، زرقة عريضة ، تبلغ السماء ، وتجيش قبالة البيوت، وترتمي على الرمل ، فعرفت ان ذا البحر !

ولقد ملأت الزرقة صدري ، ذاك اليوم، وهدرت في ضميري . فكنت اذا تحولت عنها الى بعض المشاغل،فكأنما عيني اليها كيفما انظر ، وبدي في لجها الى الابط ... او كأنما هي عين زرقاء (طبعاً) تلحق بي في المدينة وتراعيني .

كذلك استولى علي البحر ، يوم وفدت عليه ، اول مـرة . فلما قضيت طائفة من ايامي على مقربة منه ، طفق يتراجع عني الى سجنه ، وراء الشاطيء .. وأصبح كل شأني معه انه حين يزبد ، ويرغي ، ويلطم الصخر ، امرّ عيني عليه فكأني امرّ يدي على لبدة الليث ، اربته ، واهدىء من جأشه !

*

والادب — الذي لم يُنته فيه بعد ، الى تعريف او حدّ ، هو اعجب من الحياة نفسها ! وأعجب ما فيه ان موضوعه ليس من سياقها المعتاد ، ولا من حوادثها المتشاكلة —على انه مرآتها الصافية، التي تتراءى فيه ، وتتراوح !

امين نخلة

الرسام دوميه ونحن

بقلم ج. لاسين

◆

قيل ان حياة دوميه « Daumier »(1) لا تاريخ لها ، ولكن أي تاريخ اجمل من الذي يختلط بعمل عظيم ؟ فنحن كثيراً ما نهتم لحياة مضطربة تفنى بدون جدوى في تتبع افكار او اعمال لا تحظى بكفيل من النجاح أو لا تخلص الى غاية ومما لا شك فيه انه ليس ثمة عمل مجد لا نشعر فيه بوجود عامله . ولكن هذا العامل و كل ما ينطوي عليه من الاهداف والمطامح ، يمحيان بكلمة تترك للخلود . وماكان دوميه الا من اولئك الذين سكبوا قلوبهم في ما انتجوه بصراحة واخلاص ما بعدهما اخلاص ولا صراحة .

كان دوميه وادعاً ، عفيفاً ، رقيق الحاشية بأنفة وكبر . في اواخر عهد الامبراطورية الثانية عرض عليه وعلى كوربه « Courbet » وسام جوقة الشرف ، فرفضه دوميه معتذراً ورفضه كوربه كذلك ولكنه أثار حول رفضه ضجة كبيرة . وكان ان لقي كوربه صديقه دوميه في احدى النزهات فأهوى عليه يقبله قائلاً : « لقد أحببتك فوق ما كنت احبك عندما اتصل بي انك رفضت وسام جوقة الشرف كما رفضته انا . ولكنك اخطأت في رفضك اياه بدون ضجة . فقد كان يجدر بك أن تثيرها حول رفضك » . فهز دوميه رأسه وقال غامساً عينيه في عيني صديقه : « ولم ؟ لقد عملت ما يجدر بي ان اعمل . وأراني مسروراً ... فالذي صدر عني لا علاقة للناس به .. »

قال دوميه ذلك بكبر من لم يألف استثمار عمل كوسيلة من وسائل الدعاية .

والواقع ان دوميه صرف حياته في نشدان الاعمال المفيدة ، الاعمال الباقية على الزمن . وبديهي ان للمرء حالتين احداهما تمليها المصلحة ، وكثيراً ما تكون شرعية ، والاخرى يمليها أحسن ما في طبيعته . وهذه الحالة الاخيرة كثيراً ما توحي الدهشة والاستغراب وينفر منها الكثيرون ، ولكنها لا تعتم ان تلبس ثوبها الابدي الذي لا يبلى . اما الاولى فلا تلبث ان تغور في هوة النسيان .

بقي دوميه زمناً طويلاً علماً خفاقاً في سماء السياسة المستقيمة ، وكان الناس يحترمون فيه فكرة ومبدأ ، تلك الفكرة الجمهورية التي حفرها حفراً في مكافحته لوي فيليب أو في مكافحته الامبراطورية الناشئة ، وذلك المبدأ الديموقراطي الذي كان ينتقل الى حيز التنفيذ .

قال تيودور ده بانفيل « Théodore de Banville » :

« كان دوميه جمهورياً بفطرته . كان الشعب وكان يحب الشعبيين من صميم قلبه » . وكانت الجمهورية جميلة في عهد الامبراطورية .. أو في عهد ملكية تموز ... وأي جمهوري نبيل هو هذا الذي يعيش في ظل نظام غليظ ، جاهل ، مادي مستثمر ؟ فالجمهوري في ظل هذا النظام هو الذي يبني في نفسه نظام العدل والحرية ، هو الذي لايشعر في نفسه بأية قوة ترغمه على الاذعان الى ميول الناس وشهواتهم . وقد لاحظ فرنسوي فوسكا ان دوميه ليس وحشاً بل النتيجة هي الوحشية ... فهو لا يضمر أي حقد ... »

ولا نزاع في ان لوحة « الجمهورية » المعروضة في متحف اللوفر تنطوي على قوة خارقة ، فقد رسمها دوميه بكل ما في ريشته من الكرامة والنبل . وقد شعر المؤرخ ميشليه « Michelet » بكل هذا حين كتب اليه في مطلع الامبراطورية الثانية يقول : « وعندما كان يدعمك الالهام السيلي كنت أفهم قوتك في الانتاج اكثر مما افهمها اليوم ، فاليوم ينقصك كل شيء . ولكنك ما تزال أنت نفسك تقطع الدليل على ان العبقرية عالم في حد ذاته » .

والواقع ان اسلحة دوميه وهي الضحك والغضب والمنطق السليم انما هي ابسط الاسلحة واقواها وأرهبها . فقد جرؤ على الهزء بسخافات الذين كان يتفق لهم احياناً ان يدافعوا عن القضايا نفسها التي يدافع عنها هو . ذلك ان دوميه كان أبعد الناس عن روح التحزب وكان يمضي توا الى أعمق الحقايق مدفوعاً بقوة فطرية لا تحدها .

وكان دوميه وبودلير صديقين متشابهين ، وقد كتب بودلير

صفحات خالدة عن صديقه الرسام . في العـام ١٨٦٠ عقد بودلير مقالا طويلا عن دوميه ودفع به الى احـدى الصحف ، على ان الصحيفة أبت نشر المقال لان دوميه كان « خطراً » في ذلك العهد ، فاسترجع الشاعر مقاله بالكلمة التالية : « بما انك تعتقد انه لا يستطاع نشر مقالي في عهد نابليون الثالث وفالفسكي الاول فالافضل الغاؤه وكن على ثقة بأني احفظ لك اخلاصاً صادقاً ولكني لا أستطيع التقيد بالظروف والخضوع لها ... اما اعتقادك فخاطىء وهو نتيجة خوف لا مبرر له ... » وقد بقي مقـال بودلير هاجعاً الى العام ١٨٦٨ .

*

ومما يدهشنا من دوميه اننا لا نعرف شيئاً عن تكوينه الفني سوى انه كان وهو بعد حدث يتردد على قاعات اللوفر ويعمد الى تقليد القدماء . ولا نعرف شيئاً عن اذواقه وعمن يؤثر من المصورين والرسامين . وكل ما نعرفه انه مـا كاد يقتحم الكاريكاتور السياسي حتى ملك زمام هذا الفن وارتفع به الى القمة .

وبعد مرور بضع سنوات ، عندما حظر عليه المضي في مهازله السياسية ، ابدع نوعاً جديداً من الكاريكاتور بمثل السهولة التي اعتمدهـا في ابداع الكاريكاتور السياسي ، واذا به يعطينا رسوماً طريفة عن الآداب والعادات . وما عتم الامر ان اهتدى الى اوجع خطوط يطعن بها الامبراطورية المنهارة واهوال الحرب والانكسار واحتلال العدو .

وقد قيل ان دوميه كان آخر الفنـانين الرومانطيقيين او بالاحرى الفنان الرومانطيقي الوحيد . على انه لا يستطاع ادراجه في عداد المتأثرين بطريقة ١٨٣٠ ، فهو اصدق وأعمق رومانطيقية من هؤلاء . والواقع ان الرومانطيقية ما وصلت الى قمتها الحقيقية الا عندما اهتدت الى لونهـا التقليدي للاعراب عن افكار جديدة واتصلت بالكلاسيكية التي تجاوزتها وأكملتهـا على نحو ما فعل بلزاك وبودلير .

ولا نزاع في ان بودلير هو الذي عبر عن القرن التـاسع عشر لاموسه وهو الذي خلق في فرنسا اتجاه الشعر الحديث . ولا نزاع ايضاً في ان دوميه هو الذي أظهر المتنـاقضات البشرية وعبر عن مكافحة الضمائر لمظالم الانسان لا فيكتور هوغو .

واذا نظرنا الى لوحات دوميه يخيل الينا انها مرسومة في زمننا هذا . وقد قيل ان غامبيتا « Gambetta » نظر يوماً الى احدى لوحات الرسام العظيم فصور له انه يرى عليها صور اشخاص مشهورين لم يخطروا في بال المصور . وقد ذكر مسيو ده مونزي نادرة غامبيتا هذه في المقدمة التي وضعها لمجموعة متحف ١٩٣٤ وقال انه لا يصعب علينا ، بعد مرور ست وخمسين سنة ، ان نرى ما رآه غامبيتـا . والواقع ان العادات والاساليب تتبدل امـا الناس فلا يتبدلون . فشخصيات اليوم اشبه ما تكون بشخصيات دوميه اذا استثنينا الملامح واللباس . ذلك ان الانسان الادبي يبقى هو نفسه .

وانه ليسهل جداً علينا ان نزين مجلة من مجلات اليوم برسوم من ريشة دوميه .(١) « رجال التعاون » الحاليون كبير والشبه برجال ١٨٧٠ ، على ان الشعب الفرنسي عرف بالرغم من هفواته ونقائصه ان يحتفظ بمواجهته للحقايق وبفضائل جنسه . فالجو الذي يحيط به والاطار الذي يكتنف حياته ، والمدينة التي نشأ فيها بقيت هي نفسها بالرغم مما انتابها من التشويه وما لحق بها من التجزي . ولأن يكون دوميه قد اعطاها الشكل الذي تخيله لها فقد يكفيها ذلك للتأمين على بقائها ولو زالت من عالم الوجود .

وبديهي ان الفنان يخلع على الصور معانيها الخفية ، وقد كان دوميه يملك هذه المقدرة الى حدها الاعلى . وبما انه كان يعرف ان يلبس زمنه وخلائق الله في زمنه لون الاسطورة الذي هو لون الحياة الحقيقية فقد عاش لنا عصره بكل مـا كان فيه من دقائق الامور وغوامض الاشياء .

ومما لا شك فيه ان الطريقة الباسلة التي سلكها هذا المصور العظيم في رسومه تدهش بعض الدهشة زمناً كهذا جفته السخرية وغذته الفصاحة الكاذبة ، فلدوميه في اية لوحة من لوحاته ذلك النفس الخالد الذي يخيف البلهاء والحمقى ... ودوميه حي اليوم ، بل هو اليوم اكثر حياة منه في أي زمن مضى . فلم يشخ أي شيء من عمله ، وهو ابلغ بألف مرة من اولي النظريات ورجال الاقلام . وليست لوحاته سوى صورة خالدة عن الحقيقة والمثل الاعلى ، عن هاتين الفضيلتين اللتين سخر منهما عصره وعصرنا لانهما أجمل الفضائل على الاطلاق .

ج. لاسين

---

(١) مقتبسة عن كتاب Actualité de Daumier par Jacques Lassaigne « Problèmes Français » 2me Série N° 6. Beyrouth 1942

اوثيليــــــــا

في قلب المدينة كنيسة . وعلى مقربة من الباب لوحة . وسراج . العتمة تنسجم ، والجدران الصفراء مطينة بالكلس .

العذراء مريم ذات الوجه النقيّ واللون « الفــتيّ » والنظر الطفولي تتأمل ابنها المحتضر المثقوب البدن المرتعش الاعضاء ،وهي منحنية على صدره المكشوف يجري منه خيط طويل من الدم .

وكأن العذراء مريم ذات الوجه الصافي اكثر فتاء من ابنهـــا يسوع ، لان الابن هو ابو الارض ، ابو الاحياء ، ولان الام هي ابنة الاله يسوع ، ابنها .

كانت الظلال الصافية قد نفذت الى قلب مريم ، فعينا العذراء شبيهتان بعيني الله ، ولكن جسدها شبيه بجسد المرأة .

ولئن يكن نظرها الطافي على الجراح المفتوحة احتفظ بنعومة الحرير كظلّ غيم على السهل فلأن مريم العذراء القديسة اكثر فتاء من ابنها يسوع .

*

يا مريم القديسة ، يا ام الرب ، ايتها المرأة الغريبة بين النساء ، ايتها العذراء التي تسكر عذوبتها الحواس كخمرة صافية ، اسمعي هذه الكلمات البسيطة الطافح بها قلبي :

كما ان النساء التقيات يحببن ابنك الذي سيبقى حبيبهن الوحيد على الارض ، احبك يا مريم ذلك الحب الالهي الذي يستنزف دم الجسد ، فهلا أحببتني انت كذلك ؟

بما انه يبذر في القلوب المظلومة بذور حنانه المحتوية عـــلى طمأنينة المساء . فهلا وضعت يا مريم يـــدك على كتفي لتسكّني نفساً عذّبتها الحياة .

هلاّ خرجت هذا المساء من اطارك القديم فجئت اليّ كأخت معذّبة ، انت التي يخفي وجهك الهادىء قلباً هائجاً . انت التي لا تزالين تحبين الصليب والحجارة ، انت الـتي تعرفين آلام الذين يظهرون بمظهر السعداء .

هلاّ نزلت من اطارك الصوفي ما دام لا يستطيع الصعود اليك الا كلماتي . وهلاّ اتيت تقولين لي وانت تبتسمين : « الالم ثقيل يرسب في قعر القلب . والالم الحقيقي ما جهّم قط وجهــاً . »

فأصغي اليك ، وربما مبتسماً . . . وتأتي اليّ رأفتك كالنسمة التي تلاطف وهي عابرة سكون النخيل . واعلم ان قلبي يذوق عندئذ الطراوة والطمأنينة اللتين تطفوان في كنائسك ، وبيــاض الثلج المستريح على الاكواخ ، وغبطة الفقير الجالس الى موقد نار ،والعاطفة الوالدية الحارّة التي اجهلها . . وقد يذوق قلبي عذاب اللذة الحاد .

*

على ان اعجوبة مخيّبة تمت هذه المرة : فالعذراء ذات النظر الليلكي واللون « الفتي » والوجه اللمّاع لم تترك اطارها الريفي . . وخرج الشاعر وحده من الكنيسة القديمة وسلك الطريق المشرق المؤدي الى مأواه .

ولكنه شعر بشيء كالنظر ينحط عليه : فالسماء كانت زرقاء .

*

على مقربة من الكنيسة حانة منحوتة بدقة كضريح . خزانة ، اقداح ، صحون « كافيار » وعلى الجدران غربان مصورة . كانت عذراء سوداء المقلتين ، كامدة اللون ، ذات قبضتين كقبضتي الولد تدير بيديها العاجيتين آلة نحيفة ا « كسبريسو » ضخمة . وتعلين الثقب الجامد تجري منه قهوة لذّة .

وكان الغضب السماوي يضرم حدقتيها .

فهل عرف جسدها الظلال الصافية ؟

وكان هدير اعمق من هدير البحار ينطلق من الالة الضخمة ، هدير زفرات شبيهة بالهدير والزفرات التي تعطيها اللذة . ولكن المقلتين السوداوين الطافحتين بالتواءات منسجمة كانتا تضحكان بشكل يثير القلق . وهكذا كان النظر يشبه الله ولكن الجسد يشبه المرأة . وكان طيب من المناطق الحارة يفوح من « الاكسبريسو » التي تتطاير حولها يداها ،يداها المختّمتان الشبيهتان بجناحين تقلقتي النظر .

*

ولكن اعجوبة مدهشة تمت هذه المرة : فما لبثت العذراء السوداء المقلتين ان تركت اطارها المعدني لتسلك الطريق المظلم المؤدي الى مأواها . ولم يكن احد ينتظر في زاوية الشارع . فأحست من بعيد بأن شيئاً كالنظر ينحط عليها . كانت السماء زرقاء . اعرف ان الشاعر سيكتب كتاباً لكي يصل الى الازمنة المقبلة اسم اوثيليا الخادمة ، المرأة التي يشبه نظرها نظر « محرمة » العذراء ذات اللون « الفتي » ذات الوجه الصريح كالحقد .

السويس — احمد راسم

من سلسلة ذكريات الطفولة

نشوة تخبــــــو

بقلم الانسة فلك طرزي

◆

كانت الفتاة لا تطمئن الى شيء قدر اطمئنانها الى غرفتها والى ما تحتوي غرفتها من اشياء ، اصبحت مع الايام أليفة لها ، ففيها كان ينحصر العالم الذي جعلت منه مأوى لاحلامها واوهامها ، ومكمناً لافراحها واكدارها تخفيها فيها . كانت تختلف عن بقية الفتيات، بانها تؤثر العزلة وتخشى الضوضاء اذ هي منذ الصغر لا تجد نفسها ، بل لا تلمس هذه النفس ، ما لم تلذ بالوحدة وتسكن اليها . وكثيراً ما كانت تعرض عن اساليب اللعب التي تجد رفيقاتها فيها لذة وسلوى لانها لا تستسيغها . وكانت احياناً تشاركهن على سبيل المسايرة تلك الاساليب ، فتلعب كما يلعبن ، وتشترك مع فريق منهن في مخاصمة او التآمر على فريق آخر . ولكنها كانت في كل ذلك ، لا تهتدي الى السبيل الذي يخرج نفسها من نفسها ، ويهيء لها جواً تنطلق فيه ذاتها الى حيث لا قيود تقيدها ، ولا حواجز تحد من حدودها . انما سلوتها بل لذتها كانت تجدها في التأمل الطويل ، تأمل مشاكل الدنيا المعقدة على تفكيرها الساذج الذي لم يتوصل على رغم الجهد الذي يبذله الى حلها . فلم يفرق الناس بين هذه الفتاة التي ترفل ابداً بافخر الثياب ، ولا تأتي المدرسة او تغادرها الا في سيارة ، وتتمتع باعجاب الفتيات ومعظم المدرسات ، مع انها عادية المواهب ، سطحية الفهم ، وبين تلك التي يكاد الجميع يسخر منها ، على رغم توقد الذكاء فيها ، ووفرة مواهبها ، لان المظهر فيها كان اقرب الى الفقر منه الى الغنى ، ويندر ان يتغير ثوبها ؟ بل لمَ الناس متفقون على القواعد غير الصحيحة ، لاقامة الفوارق بين الافراد ؟ وهل الثروة وحدها شرط اساسي من شروط التمييز بينهم ؟ ام هنالك عوامل جوهرية اخرى ، هي اصدق مقياساً للقيم الصحيحة ؟ الان والد تلك هو الثري الغني ذو الشأن والنفوذ ، ووالد هذه ليس الا نجاراً ؟ لقد عجز ادراكها حينذاك عن حل اللغز الدقيق الذي يبني الحواجز بين مختلف الطبقات . لكنها ادركت منذ ذلك الحين ان للمظاهر شأناً واي شأن في طبع عقلية الانسان في مختلف اطوار حياته . ولعل ميل الفتاة الى العزلة ، كان مبعثه طبع الخجل فيها ، والذي جعل معظم من يحيطون بها يخطئون في تقدير حقيقتها ويحكمون غالب الاحيان ظلماً عليها . ولعل مصدر هذا الطبع فيها، كان اعتلال صحتها ، وتوالي الامراض عليها ، التي لم يرد شرها عنها ، غير متانة تركيبها الطبيعي الذي جعلها تتغلب عليها جميعاً ، وتخرج منها سليمة الجسم قد اكسبته الامراض مناعة كانت له في المستقبل خير وقاية . وكانت تتحمل من جراء هذا الطبع ،عذاباً يرهقها عبئه ويثقل عليها ، اذ كان يحملها على كتمان ما يجول فيها من نزعات شتى ، وكبتها جميعاً في اعمق اعماقها . فما سبب ذلك يا ترى ؟ هل لتكوينها النفسي دخل في ذلك ؟ ام هل للتربية التي تلقتها الفتاة ثم البيئة التي تعيش في وسطها اثر فيه ؟ قد يكون مبعث ذلك النفور والحذر ناجماً عن النقص الشائع في اساليب التربية المتبعة في معظم البيوت الشرقية ، وخلوها من الاستعدادات الحسنة التي تهيء الطفل الى حياة قوية من مختلف النواحي : من الناحية الخلقية والنفسية والاجتماعية والفسيولوجية . اكان هنالك ملاعب خاصة بالاطفال ، تتفتح فيها مداركهم وابصارهم على عالم صغير ثم على عالم اكبر ، وتظهر بوادر من مواهبهم سواء كانت هذه الملاعب غرفاً تخصص لهم في البيوت ام حدائق موزعة في اطراف المدينة ؟ كلا ! لم يكن في البيوت ولا في المدينة ملاعب من هذا النوع ، ولا تذكر انها سمعت قبل ان تقرأ عنها وتتعرفها من خلال الكتب والابحاث الغربية التي ترشد الامهات الى اقوم اساليب التربية وتوجه انظارهن الى الخطر الذي قد يهدد الحياة الاجتماعية من جراء سوء التربية او نقصها . فعزوفها عن اللهو واللعب ليس مبعثه تكوينها النفسي الى الوحدة فحسب ، بل هذا الميل ايضاً

نتيجة للسبب الرئيسي الناشيء عن حرمان هذه النفس من الاسباب التي تفسح امامها مجالا يمهد لها السبيل الطبيعي لاجتياز كل مرحلة من مراحل العمر . فمما لا يستطيع الناس ادراكه في البيئة التي نشئت فيها، هو ان كلا من هذه المراحل بحاجة لان تهيأ لها هذه الاسباب لكي تأخذ مداها في النفس ، والا فان بعض الخلل والشذوذ يأخذان في التسرب الى حياة الفرد ومنه الى حياة الجماعة .

هي تتأمل ابداً ملامح الشابات والشبان الذين في سنها ، وتدقق النظر في معانيها ، فلا تلمس من خلالها الا نفوساً مغلقة تتوق الى الانطلاق ، وعواطف مكبوتة ، اورغبات حبيسة صارخة تحاول عبثاً التحرر من محبسها . كل هذا لان الاهل شاؤا ان يضيقوا النطاق على الابناء وان يجعلوا من ابن العاشرة ابن ثلاثين ، ومن ابن العشرين كهلًا قبل الاوان ، وكل هذا لانهم يأبون الخضوع للاعتبارات الكثيرة التي تقيم الفوارق بين زمنهم وزمن ابنائهم ، ومن هنا تنشأ امور كثيرة بينهم : ينشأ الشقاق وسوء التفاهم ، وينشأ الانقسام وينشأ التباعد .

خجولة وكتومة ! ههنا مصدر اختلافها عن بقية الفتيات . وههنا الباعث على حذرها وارتيابها من الناس ، وخطأ هؤلاء والمقربين منهم في ادراك حقيقتها ، اذ كانوا يقدرونها من خلال المظهر ، والنفس التي يطبعها الخجل لا تكشف الحقائق التي تكمن خلفه .

وكأن الفتاة كانت تدرك ما يظن بها ، وتسمع من بعضهم كلاماً يثبت لها هذا الظن ، فكانت تبلع الكلام المر بلعاً بينما هم يحسبونه قد تبعثر في الريح . وكان اثره يستقر في اعمق اعماقها، بينما هم يحسبونه قد زال بزوال ساعته . تذكر انه خطر لها يوماً ان ترسم على الورق صورة فتاة قد انتحت مكاناً منفرداً قصياً عن رفيقاتها ، وجلست تسند رأسها براحتها ، بينما مرفقها يعتمد على الركبة . واخذت قلماً وقرطاساً وشرعت تصور ما اوحى لها الشعور ان تصور : فتاة ارتسم على محياها مزيج من المشاعر وجالت في عينها رغبة صامتة كأنها تقول بل تتساءل : « لم لا يعرفونني ؟ بل لم لا يحاولون معرفة ما يتضمن هذا الجسم الصغير من اشياء ومعاني ؟ فرسمت خطوطاً توزعت في عرض الورقة وطولها ، واودعت في كل من هذه الخطوط جزءاً من نفسها دون ان تدري ، فاذا تكونت لديها صورة مضطربة لهذه الفتاة التي جلست جلسة تأمل وتساؤل ، امسكت بها وانطلقت لا تملك نفسها من شدة الفرح، تلوح بها وتملأ المنزل ضحكاً وغناء ، واخذت تبحث فيه عمن يقاسمها ذلك الفرح الذي يكاد لشدة فيضه يطفح منها ! لكنها لم تجد في البيت سوى قريبة لها مسنة ، كانت تخيط حاجة في ركن من اركان احدى الغرف . وقفت الفتاة ، خلف الباب، تتردد بين عاملين : فنشوة الظفر التي تملكتها ، كانت تدفعها دفعاً الى اشراك سواها فيها ، لتخفيف عبثها عنها ، وارتيابها من الناس كان يحول بينها وبين هذه الرغبة ، ويمنعها من اشراك اي كان من الناس في الدفين من خواطرها واحساسها.

صراع عنيف قام في نفسها تتنازع فيه رغبتان ، متناقضتان ، ونقاش دار بينها وبين ذاتها ، كانت تتردد خلاله ، هذه الاسئلة والردود : « أهي تستطيع فهم ما اريد من هذه الصورة ؟ » كلا .. يجيبها صوت آخر ، هي لن تفهمها ولن تدرك المعنى الذي ترمي اليه ولم لن تفهمها ؟ ان سيماء الوداعة التي تلوح على وجهها ، تحببها الي وتبعث في الثقة نحوها . وكأن الفتاة ارتاحت الى هذا التعليل ، اذ وجدت فيه الحجة التي تؤيد رغبتها ، فاندفعت نحو الغرفة ، واقتربت من قريبتها ، ونادتها بصوت رن فيه الفرح : « انظري يا عمة » فاذا سمعت القريبة النداء ، اجابت الفتاة دون ان تلتفت اليها ، او تلقي الحاجة من يدها ، بلهجة اللامبالاة : » ماذا معك؟» فلوحت الفتاة بالصورة في الهواء ، ثم دفعتها اليها ، وقالت باعتزاز : هذه ، كأن الرقعة التي بيدها تساوى وحدها ثمن الدنيا باجمعها ، فرفعت القريبة نظرها عن الثوب واخذت تحدق بها ، فاذا رأت خطوطاً مضطربة مشوشة ، اختطفتها ومزقتها قطعة بعد قطعة ، ثم القت بها على الارض وعادت الى الحاجة تخيطها وتنظر فيها .

*

شعرت الفتاة حيال هذه الخيبة ، كأن يداً عنيفة امسكت بصدرها ، وهبطت بها من علياء الى منخفض ، من فوق الى تحت، فوقفت تجس بصمت ووجوم الرضوض التي اصابت كبرياءها من جراء هذه الصدمة . لكنها احست على رغم ما حز فيها من ألم « بالفردية » تتحرك في ذاتها ، وتولد فيها شعور باختلاف هذه « الذات » عن ذاتية بقية الناس التي يشابه بعضها بعضاً !

دمشق — فلك طرزي

حرقة

◆

امضِ عن شأنيَ الطريح على مسلكٍ زلِقْ
لا تسل عن شكاته سرّ تطبيبه سُرِق
لا تظنّن ما به شرَق اللهو بالحُمُقْ
انّ سكراً سما بقلبي الفتى خدّر النزَق
صبّ في كوبيَ الغرير حُميّا الصبا القلِق
سئم التوقُ ضجّةَ الحسِّ فاستشرفَ الأُفُق
بادرته الشموسُ باغيةَ الشوق تعتنق
الهبته الضّحى فأوْدى به الفَوْتُ في الشفَق
الغواياتُ وُلدُ انفاسِ عذراء تحترِق

القاهرة — بشر فارس

الشعر الرمزي

بقلم
الدكتور نقولا فياض

تحدثت في العدد الماضي عن بودلير زعيم الرمزيين وعن مذهبه الشعري والاثر الذي تركه في معاصريه ومن جاءوا بعده . واتيت بوجز عن حيـاة ثلاثة من الذين كان له فيهم ابعد اثر وهم فرلين وملارمه ورمبو وذكرت لكم طريقة كل من هؤلاء، ومميزات الواحد عن الآخر في النظم والالهام . واتابع اليوم هذا البحث بعرض مـا تبقى من الشؤون التي رافقت هذه الحركة الفكرية الى ان آذنت شمسهـا بالافول اي الى مطلع القرن العشرين .

تقدم لنـا ان فرلين وملارمه ورمبو خرجوا على تقاليد « البرناس » كما خرج بودلير من قبلهم لاسباب واحدة هي ما كان يرمي الى تحقيقه المذهب الوضعي Positvisme سواء في الادب او الفن او الاجتماع . فقد ظن دعاة الوضعية انهم يستطيعون بها تفسير العالم وتصويره وتدبيره فما اقتنع اولئك ولا وجدوا سبيلاً الى حل اللغز الذي يكتنفهم ، واماطة اللثام عن السر الماثل امامهم ، كيفما اداروا نظرهم ، والافـلات من كابوس القلق النفساني الضارب عليهم بظلماتـه . ولم تقف الثورة على الوضعية عند الادب والشعر بل تناولت كل جهاز السياسة والاجتماع والفن فاصبح كل ما فيهـا عتيقاً يجب التخلص منه : الجيش والنظام الادبي والصيغة الفنية والانشاء الروائي والقصص ولم يبق للانسان الا ان يكون فوضوياً، او رجعياً، وفي الحالتين انكار لمزايا المجتمع في حالته الحاضرة واحتجاج على حاجاته .

فالشعر الرمزي كان صورة من صور هذا الانكار وهـذا الاحتجاج . ولا يعرف بالتدقيق من السابق الى هذه التسمية ولكن ما لا ريب فيه ان جان مورياس كان اول من تبناها وعمم استعمالها ودافع عنها . فقد قامت قيامة النقاد عليها منذ بدء ظهورها في كثير من الجرائد المشهورة كالطان والفيغارو والعدل وغيرها . حتى ان اناتول فرانس كتب في الطان يقول : « الظاهر ان الانسانية ملت الفهم وكلت منه ، وطال عليها الزمن الذي كان فيه للالفاظ معنى . »

ولم يسكت الرمزيون فانشأوا اندية ومجلات للدفاع عن نظريتهم كالمجلة المستقلة وبقع الحبر والعصر التاسع عشر وسواها يحرر فيها مع جان مورياس لافورج وبول آدم وغوستاف كان، وعدد كبير من شباب ذلك العهد وقد اشترك في الدفاع عنهم جول لومتر، وامل برونتيار خيراً بهم ، وعـاد اناتول فرانس عن سخريته سنة ١٨٩١ .

وكانت الفيغارو قد سألت الرمزيين بياناً عن مذهبهم فاجاب مورياس راجعاً بنسبهم الى الفرد ده فيني وشكسبير وقال ان بودلير زعيم الحركة وان ملارمه بعد جيرار ده نرفال هو الذي مهر الشعر الحديث بمعاني السر وهذا الشيء الذي لا يوصف وان فرلين حطم القيود الذي يرسف بها الشعر وقال ان الغاية من الرمزية الهدم اكثر من البناء فهي عدو لتفخيم الالفاظ والوصف الخارجي للاشياء . وانشاءها خاص بهـا يقوم على التفهم والرمز اولا ثم الموسيقى بعد ذلك . غير ان البعض رأى نقصاً في هذا التعريف لانه لا يعطي الموسيقى حقها فقام رنه جيل وانشاء مدرسته المشهورة يعود بها الى فكرة رمبو بتجريد الكلمات عن قدرتها على التعبير عن افكار بحتة فهي قبل كل شيء الحان ذات جهارة تعبر عن احساسات سمعية يقابلها احساسات لونية فانت اذا كتبت كلمة فانما تخرج اصواتاً وتنشر الواناً .

واحتدمت المعركة الرمزية واخذت جرائـد جديدة تظهر واخرى تختفي وامتدت الحركة الى بلجيكا فنشرت مجلاتها نفثات اقلام مورياس وملارمه ورنيه ومترلنك وفرهارن .

وفي الخمس سنوات التي اشرق فيها فجر الرمزية ظهرت طلائع الشعر الطليق فاحدث صدمة في عادات الجمهور واثار حوله كثيراً من الجدل ورأى الناس فيه جرأة كبرى دهش لها حتى اصحابها فصار كل يدعي الاولية فيها .

وسرعان ما تعب مورياس من الرمزية وهو الذي احتضنهـا يوم ختانها ومن اجلها ودع فخفخة الشعر الرومانتيكي والبارناسي والمدرسي . ربما هاله كثرة ما كتب على اثر رسالته ومنافسة رينه جيل له . فان الشعر الطليق هدم السدود التي كانت تعترض القرائح والاقلام واندفع سيل من الشعر قلما يستحق ان يسمى شعراً يغرق كل منظوم في طوفانه ، وصار يكتفي الواحد ان يلتقط كلمة من هنا

وكلمة من هنـاك ليؤلف شعراً ، فاشفق على الشعر الفرنسي ان يذهب رواؤه ونشر بياناً في الفيغارو يعارض فيه هـذا الانشاء الخارج عن النظام ، ويطلب العودة الى المصادر اليونانية واللاتينية التي هي اسـاس الاداب الفرنسية والتي كانت منبع الوحي في العصور الوسطى ايام التروبادور وعلى عهد رونسار في القرن السادس عشر وراسين ولافونتين في القرن السابع عشر الى ان جاء الرومانتيسم وما وراءه من بارناسي وطبيعي ورمزي فقطع السلسلة وحول المجرى .

ومن معاصري موريا س هنري ده رينيه الذي تأثر بملارمه وجيل الا انه مـا عتم ان خلع الصبغة الرمزية وعاد كموريا س الى اساتذته الاقدمين اومـير وفرجيل ودانتي ورونسار واندره شينيه الخ . على ان بعضهم ينظر اليه كاعظم شاعر للمدرسة الرمزية .

ومن الشعراء الذين لاتزال رمزيتهم موضع الخلف بين النقاد البرسامان وشارل غرن وفرهارون ومترلنك وسنعود الى الكلام عنهم في غير هذا المكان .

الخلاصة

ان الرمزية لم تفلح كمدرسة او بالاحرى لم تتخذ ابداً طابع مدرسة بل بالعكس . فانك لاتجد جمهرة ادبية فيها الحرية الفكرية الكاملة مثلها . والصفات الجامعة بين اتباعهـا هي كراهة المادة والابتعاد عن صور الواقع والرغبة في توسيع نطاق الفن للتعبير عن السر الذي يغمر الحياة العامة (وتجافي المألوف والعادي والمبتذل) . وكانوا يسعون في التقرب من الطبيعة ولكن لا يكتفون بان يملكوا مظاهرها السطحية ويقبضوا على الرعشة الخارجية بل يطمعون بان يستلوا من اعماق كل شيء ، وصميم كل فكرة ما هو اهل لان يحدث هزة في نفس القارىء . ولم يختلفوا الا على الطرق المؤدية الى هذه الاهداف فكل يفهم رسالته كما يريد وينفق في سبيلها قواه العقلية والروحية .

واذا نحن القينـا نظرة مجملة على المذاهب التي تعاقبت على الادب الفرنسي في العصر التاسع عشر وجدناها قصيرة الاجل . فقد عاش الرومانتيسم ثلاثين سنة والبارناسي عشرين والرمزية خمسة عشر ذلك لان منافسة الاحزاب كانت شديدة ومطالب الجمهور تزيد في الالحاح كلما تقدم الزمن فكان يسرع اليها الملل وكانت الرمزية معرضة اكثر من سواها للانحلال لانفراج المسافة بين ما تطمع به وما تستطيع تحقيقه . فقد ارادت الفن للفن في اقصى معناه ورامت فتح نافذة جديدة لرؤية الكون وفهمه وخلق لغة شعرية لم يسبق بها عهد ، فقصرت دون الغاية واكثر الذين حملوا لواءهـا تخلوا عنها واحداً بعد واحد . وبين سنة ٩١ وتسعمئة بعد الالف تعاقبت عليهـا عاديات الزمان فهجرها موريا س وكثر النقاد على ملارمه واخذت جريدة القلم وهي رمزية النشأة تتهكم بها ونعاها الى عالم الادب موكلر الرمزي وكتب رومان رولان يقول ان عهد الرمزية كان عهـد تعب روحاني واضطراب عصبي وانعقد مؤتمر للشعراء حملت فيه الولايات على العاصمة واظهر السواد الاعظم انهم لا يريدون هذا الشعر الطليق وفي عام ١٩٠٢ استفتت جريدة الصومعة شعراء العصر عن احبهم اليهم فنـال هيكو اغاب الاصوات ولم يأت ملارمه الا بعد لامارتين وموسه والكونت دليل .

هذا بعض من كثير من الحوادث التي كانت تنذر بتداعي الرمزية وانهيارها واهم منها تعدد المذاهب الشعرية وطمع كل واحد بالزعامة فقد قامت احزاب تتطاحن وتتحاسد وتنشر الرسائل في انتقاد هذا المذهب والدعوة الى مذهب آخر وبلغ درجـة الجنون سنة ١٩٠ اذ ظهر الواحد تلو الاخر : الناتوريسم ، والاومانسم ، والسومبتيارسم والباروكسيم ، والسنسيتسم ، والانتكراليسم ، والسملتـانسم والسنسريسم ، والفوتوريسم ، والاوينانمسم وكثير غيرهـا على هذه القافية ...

وعاد بعضهم الى تمجيد زولا واوغست كونت وداروِن وتين وكتب فرنالد غريك زعيم الاومانيسم يقول : « نحن لا نحكم على الرمزية بالاعدام ولكن نطاب منها الاقـلاع عن الغموض والابهام فالرمز الجميل الغامض كالصندوق الجميل الضائع مفتاحه وهذا فيني في شعره كثير من الرموز ولكنها مفهومة . اكـثروا من الرموز ما شئتم على شرط ان نشعر ان وراءها قلباً ينبض ورأساً يفكر . »

على ان كل هذا لا يمنع ان يظل من الشعراء من يحب الرمزية وكم من شعراء اليوم من لا يزال يحمل آثارها . وهذا بول كلودل وهذا فاليري يعتبران نفسيهما مكملين عمل رمبو وملارمه على ما بينهما وبين الرمزيين من التفاوت ، واندرة جيد الذي كان رمزياً ثم انكر لا يزال في كتبه اثار الرمزية .

فالجيل الذي نشأ ونما في عهد الرمزية لم تطوه يد الفناء وحـتى اليوم لا يزال باب الجدل مفتوحاً والناس يتساءلون : هـل قالت الرمزية كلمتها الاخيرة ام لا ؟

نقولا فياض

العلماء والكتاب والفنانون في المانية النازية

بقلم رئيف خوري

●

لقد سمعنا الكثير عن اضطهاد النازي للعلماء والكتّاب والفنانين، في المانيا وفي كل بلاد بسطوا عليها ظلهم، ولقد ذهب اهل النظر المذاهب في تعليل هذه العداوة التي يبدو انها اصيلة بين النازي من جهة، والعلماء والكتّاب والفنانين من جهة اخرى. وهذا شيء لن ندخل في بحثه الان. ولكن كثيرين قد وقفوا موقف التردد من قبول هذه الاحاديث عن اضطهاد العلماء والكتاب والفنانين في المانيا وفي كل مكان، امتدت اليه يد النازي. اجل ان كثيرين لم يصدقوا ان جماعة النازي يشرفون على دولة قوية، ويتصرفون بمقدرات امة كبيرة، وينهدون الى الفتوح الواسعة، ويطبلون ويزمرون « بنظام جديد » لاوروبا — بل للعالم — لم يصدق هؤلاء الكثيرون ان النازي يفسدون هذا الفساد، ويعيثون هذا العوث، في علماء بلادهم وكتابها وفنانيها وفي العلماء والكتّاب والفنانين حيثما كان لهم عليهم سلطان.

ولكن تلك هي الحقيقة، لا جدال فيها. وخير ما نفعل في مقالنا هذا ان نقتصر على وقائع مجردة، فان الوقائع من ذاتها تتكلم، وما ابلغ ما تقول...

في السنة ١٩٣٣، لما تسلم ادولف هتلر زمام الامر في المانيا، رأى الناس ذات يوم في برلين في الساحة (اونتردن لندن) مشهداً غريباً. رأوا حطباً يكوَّم في شبه دكة عالية. فلبثوا يتساءلون ويتقولون الى ان زحفت طلائع الظلام، وزحف معها فريق من الشباب النازي يحملون المشاعل، ويحدون امامهم عربات محملة شيئاً لم يتبينه الناس اولا. ولكنهم بعد لمحة رأوا النار تنتقل من مشاعل الشباب النازي الى الحطب المكوّم في الساحة العامة، وسمعوا هتافاً ولغطاً، وابصروا حمولة العربات تنقذف الى النار، فتلتهمها، وتندلع ألسنتها طالبة المزيد، كأنها استحلت هذا الطعام الذي تطعمه.

وكيف لا تستحله وهو نتاج ادمغة نيرة وقلوب كبيرة؟ لقد كان الشباب النازي يحرقون الكتب!

هذه واقعة وقعت ولا سبيل فيها الى طويل الاخذ والرد. فالنازي انفسهم كانوا يتبجحون بها حتى ادركوا انها دعاية تدمغهم بالعار في رأي العالم المتمدن، فحاولوا ان يخمدوا خبرها، على انهم لم يفلحوا والمثل الفرنجي يقول: من السهل ايقاد النار، اما اطفاؤها فأمر آخر. والنار التي التهمت الكتب في (اونتردن لندن) كان سهلا ايقادها، ولكنها الى اليوم ماتزال تشتعل في اذهان المتمدنين من اي جنس او مذهب كانوا، كنار هولاكو التتري، نار الحمام التي اطعمها مكاتب بغداد يوم فتحها فتحة المشؤوم لم ينسها العرب واهل المدنية الى الان.

ان جريمة احراق الكتاب، بهذا العمد والاصرار والتبجح، لمن اشد الجرائم التي تهتز لها اعصاب الانسان — كل انسان، الا ان يكون نصف بهيمة في غاب. ولذلك كان المثقفون العرب عظيمي الشكر للمستشرق البريطاني (بطلر) حين برأ بالبرهان ساحة العرب من احراق مكتبة الاسكندرية لما استولوا على وادي النيل.

والوقائع الاخرى التي تؤكد فظاعة اضطهاد النازي للعلماء والكتّاب والفنانين، كثيرة جداً. وما على السامع الا ان يتابعنا ونحن نتلو هذه السلسلة الطويلة، سلسلة اسماء الذين شردهم النازي من علماء، وكتاب وفنانين. عفواً، قلت سلسلة اسماء الذين شردهم النازي وانا اقصد اسماء بعضهم فقط، لانهم اكثر من ان يسمح لنا المجال بذكرهم جميعاً.

نبدأ بالعلماء:

البرت اينشتين، صاحب نظرية النسبية، ومن اعظم علماء العصر. وهو الان في الولايات المتحدة يعيش مكرماً في ظل الديموقراطيات بعد ان ضيقت عليه النازية الخناق.

سغموند فرويد، صاحب الابحاث النفسية الجنسية، ومن

اعظم علماء العصر ايضا • طرده الفتح النازي من وطنه النمسا ، فأوى الى بريطانيا حيث ادركته الوفاة •

الاستاذ جيمس فرانك عالم الطبيعيات الشهير • نال جائزة (نوبل) وحاز وسام الصليب الحديدي من الدرجة الاولى ، وهو من اعظم الاوسمة ، في المانيا • كان الاستاذ فرانك رئيس معهد الاختبارات الطبيعية في كيتنجن فاقاله النازي وشردوه •

الاستاذ ريتشارد فلشتيتر عالم الكيمياء الشهير • حاز جائزة نوبل وكان مدير (معهد القيصر فلهلم) •

الاستاذ اوتو فاربورغ من الذين جردوا حياتهم للبحث الطبي • نال جائزة نوبل • وله ابحاث نفيسة في السرطــان • هو الان في الولايات المتحدة الاميركية •

الاستاذ ارفين شرويد نجد • حاز جائزة نوبل للطبيعيات • وله ابحاث قيمة في (الاتوم) الجوهر الفرد • هو الان في ايرلندة •

الاستاذ كاهلي ، عالم المشرقيات ومدرسها في جامعة (بون) هو الان في لندن •

الاستاذ اويفن متفوخ ، عالم اللغات الشرقية ومدير معهد برلين المختص بهذه اللغات • والاستاذ اويفن ثقة في مسائل الفن العربي والاسلامي •

هذا عدد قليل من كثيرين من العلمــاء الذين وقعوا فريسة اضطهاد النازي • فلننتقل الى الكتاب •

ليون فوختنانغر ، من اشهر الروائيين الالمان • عاش مدة قبل الحرب في جنوبي فرنسا واضطر الى تغيير منزله بعد الهدنة بين بيتان والالمان •

ستيفان زوج من كبار المؤلفين النمسويين • وهو كاتب سير ماري انطوانيت وماري ستيوارت ومجلان •مات منتحراً في اميركا الجنوبية هو وامرأته لما شهده من فظاعة الحرب وجموح النازي في اوربا •

اريك ماريا ريمارك صاحب المؤلف الشهير « كل شيء هادىء في الجبهة الغربية » نقم عليه النازي لايمانه بالسلام • هو الان في الولايات المتحدة الاميركية •

هنريك مان ، كان رئيس اكاديمية الفنون البروسية : غــادر المانيا بعد مجيء النازي الى الحكم ويعد من اعلام الحركة الالمانية المعادية للنازية •

توماس مان الحائز على جائزة نوبــل الادبية • مؤلف (الجبل السحري) و (نصر الديموقراطية المقبل) • كانت كتبه من جملة ما احرق في الساحة (اونتردن لندن) •

اميــل لودفيج ، كاتب التراجم الشهير ، مؤلف سير يسوع ونابليون ، وغوته ، وبسمارك ولنكولن ، ونهر النيل •

ولنكتف بهؤلاء من كثيرين ، ولننتقل الى الفنانين :

بدروفسكي العازف الشهير على البيان • كان اول رئيس وزارة بولونية بعد الحرب العظمى الماضية • هرب من وطنه امام الفتح النازي •

ماكس رينهاردت المخرج الخصب العظيم • كان مدير المسرح الالماني في برلين ثم فر من النازي الى (هوليوود) •

فريتزبوش مدير اوبرا درون الشهيرة • هو الان في بريطانيا •

اليزابيت برغنر الممثلة المسرحية الشهيرة • حازت مرتين اكبر جوائز هوليوود تقديراً لها على نجاحها في تمثيل (الارض الطيبة) ودزغفيلد العظيم) •

ريتشارد توبار المغني الشهير •

اريك مندلزون المهندس البنائي الكبير •

ولتر غروبيوس مؤسس مدرسة من مدارس فن البناء الحديث تعرف بمدرسة (بوهوس) •

اوسكار كوكوشا ، رسام معروف ، ومن شعراء العصر المشار اليهم • حشره النازي في جملة مذيعي « الثقافة البلشفية » (الكولتور بولشفيك) فصادروا رسومه من المتاحف والبيوت وحاربوا شعره • اما (الكولتور بولشفيك) عند النازي فكلمة يدمغون بها كل ما ليس نازيا اي : كل ما هو انساني • فالرحمة من (الكولتور بولشفيك) وحب السلام من (الكولتور بولشفيك) وهلم •

والان ، لا بد من قطع هذه السلسلة الطويلة ، ولا بد لنا كذلك من قطع الحديث والسكوت عن التعليق • وحقاً ما قيمة التعليق امام هذه الوقائع التي تتكلم من ذاتها •

طرطوس — رئيف خوري

سحر المرأة

بقلم السيدة وداد سكاكيني

◆

السحر سلاح انفذ من السهام وامضى من الحسام ، انه اختراع الله ، ابدعه من روحه ونفخه في المرأة الاولى ، فتوارثه عنها، بناتها . رف على العيون فكان محبة وهياماً ، وطوف في القلوب فخفقت حناناً ووئاماً . طلعت ازاهيره في شقرة الشعر وسواده وسمرة الوجوه وبياضها ، وتدلت ثمراته في مجاني النساء. فكانت وداعة الرقةوعذوبة الانوثة ، لم يسكبه الله على كل امرأة ولا آتاه بنات حواء بغير جساب ، فمن مسح به الباري على وجهها فهي المحظوظة السعيدة والمرموقة المحسودة ، انه لايرى بالعينين ولا يمسك باليدين. هو كالكهرباء يرى اثرها ولا يعرف سرها. ضل من طلبه في اتساع العيون الفواتر وصفحات الخدود السواجي وعلى المباسم الكامدة، وجار على الصواب وحلم فيه بالمقياس او اقره بالبرهان . انه روح خفي لا تدركه الا الارواح الشفافة والانفس الحساسة .

رب راء لامرأة يعرفها او يصادفها ، وكأنها قد صبت في القالب او نحتت مثل دمية او تمثال ، لكن تنقصها الروح والحياة ، ولو جالت في عروقها الدماء لما سكبت عليها من السحر قطرة ، ولقد يكون السحر ساكناً كما نراه في الصورة الفاتنة. وكأي من صورة يخيل اليك ان السحر يترقرق في خطوطها وملامحها ، فلما نطقت وتحركت عريت من الصناعة فاذا هي مموهة مزورة كالدينار الزائف. ولقد يكمن هذا السحر في المرأة كمونه بين الزند والحجر ، فلا يتراءى حتى يقدحه قادح. كذلك شأن المرأة من الغيد الملاح لا من الجميلات الحسان ، تقع العيون عليها وهي صامتة ساكنة ، فتحسبها جامدة هامدة ما لها في السحر نصيب ، فاذا هي تحور وتمور وتتدفق الحياة في انباضها وقسماتها بالسحر المبين ، وهذا ما يسميه الناس جاذبا ، هذا الجاذب الخالب هو الذي يلعب بالالباب ويعبث بالقلوب ، واحسبه كقاعدة في العلوم الطبيعية عندما يجري تيار الكهرباء في الفولاذ يكون المغناطيس ، هكذا يكون الجذب في المليحات الفاتنات حين يدب فيهن تيار الحياة، وانه كشأن الغناء والرنم حين ترجعه المغنيات في اصواتهن الندية الرخيمة فيكن من المثيرات الساحرات .

ما احيلى السحر حين تصرفه صاحباته في سبيل الحق والخير والجمال فيكن فيه كالملائكة ! وما اقبحه عندما يتوسلن به الى الشر والشقاء والاذى فيكن فيه كالشياطين ! ويل لكل ساحرة جائرة ، ان لصنعها الخبيث وقعاً اشد من الوقيعة وافدح اصابة من المصيبة ، ان السحر الرهيب يجرف كريح السموم ، هو مس الافاعي وطعم العسل المسموم . بكلمات من هذا السحر الاخاذ قالت حواء لآدم : كل من هذه الثمرة ... وكانت محرمة عليهما فهويا الى الارض ، وافسدا الخلود الاول على بني الانسان فارتموا فوق التراب مكبين على الوجوه يسعى ناس منهم للخلود الآخر في جنات النعيم وناس يسحبون سحباً لتكوى جباههم على نار الجحيم ، هكذا فعلت بسلات سحر من حواء في الاغراء فجرت على الدنيا البلاء والشقاء .. وها هنا تتفتح امامي ابواب التاريخ فألج في بيوته واجول في حجراته ، فأرى اسحر النساء سجلاً منشوراً وكان مطويا دفيناً ، واذا بالاحداث الجسام تخرج من هذه البيوت وتطل من تلك الاسفار فترتدي الاعمار وتكشف الستار وتهب بين عيني جاثمات قائمات ، فارى فيها كليوباطرا قد اهلكت انطونيو بهذا السحر العميق ، وجوديت تتسلل بهذا السلاح نحو هولوفيرن فتدخل عليه الخيمة ، وهو في حصار بيت المقدس ، فتغريه ثم بالمدية تفريه ، وبومبادور قد اخذت المطرقة واشعلت الكير فهي تصنع المقصلة قبل ان يخترعها السفاح « غيوتين » وماري انطوانيت تأخذ الشفارفتشحذها لتمضي في جذ الرؤوس وضرب الاعناق ولويس السادس عشر يبتسم ضاحكاً امام تلألؤ ناظريها وتثني قدها المياد بالسحر النفاذ ، ثم ارنو الى صحائفنا وامجادنا فاراها حافلة بسحر بنات حواء ، وتخطر في خيالي ملاحة زبيدة وحلاوتها فاتمثلها بارعة مفتاناً ، نفاثة سحر انوثتها في وجه الرشيد ليجعل الخلافة بعده لابنها الامين ، واذا بعد حين تدك جيوش المأمون بالفارسيين صروح العباسيين ، ويسفك الاخ دم اخيه ، فتروعني هذه الرؤى الحمراء واستعيذ بالله من كيد الساحرات .

ولقد تفقد المرأة سحر الخالق فتعمد الى سحر المخلوق ، تغلو في الزينة والتبرج لعلها تملك السلاح الذي به تلهو وتلعب وتحكم وتسيطر،

فلا يجديها الحسن المجلوب نفعاً ، اما قال لها الشاعر « ليس التكحل في العينين كالكحل » ؟ وثمة سحر آخر يعلو في جوه الدخان ويعبق البخور وقد جلس في المخدع رجل قد يكون عبداً زنجياً او زميتاً رثيا ، او انه بسط على قارعة الطريق منديلاً عليه الرمل الاحمر ، فرسم باصابعه فوقه النجوم المسدسة واخذ من جعبته قلماً من قصب فغمسه في الزعفران وجعل يكتب اسماء حنطوئيـل وجرموئيل وانطش وارقش .. ثم رسم شباكاً وحشاها حروفاً ، وجعلها ورقة مستطيلة كالزنار ، ثم طواها واحكم بقماش من الشمع غطاها ودفعها الى اللهيفة او السخيفة مشترية السحر بثمن غير بخس من وفرها او مما اخذته من الزوج وحرمته العيال ، فتعود الى البيت تحمل التعـاويذ او تحل الورق المكتوب في الماء المشروب ، او تحرق على النار العود والحصلبان لترد الزوج البعيد او الولد الشريد ، وربما فعلت ذلك لكي تطلق الضرة فتصفو معها العشرة ، انه سحر عتيق في الدهر عرفته بنات جنسي من عهود بابل يوم كان فيها هاروت وماروت ، وعاينه في قصر فرعون حين همّ السحرة الكهان بموسى عليه السلام ، عاش مع المصريات فهو الى اليوم عند طبقة منهن يسمى « الزار » وله لديهن اخطار تجري بها الاخبار ، وحذقه معشر نساء في بلادنا حتى صار فيهن المنجمات والناظرات في الفالك وفي المندل ، والحاسبات القارئات في الكف وفي فنجان القهوة والساكبات الرصاص والمحليات برش الماء على مواقع الداء ، وفيهن التي تزعم ان الجني يدخل اهابها فتنتج منها الاوداج وتحمر العينان ويرغو الزبد على الشدقين واذا بصوتها الناعم يخشوشن ويتهدج وتلفظ الكلام بصوت اجش وكأنه متدفق من افواه الرجال ، ثم تخاطب الملك الاحمر او الاصفر وتتناول النذور والاجور بالخديعة والتدليس .

*

هذا بنات حواء : روح وريحان وبهجة وجمال او ملاحـة وجه وفتون قد ، وعذوبة لسان وصفاء نفس وثقافة ذوق وهو السحر الحلال ، او بخور وتمائم ونفثات وطلاسم للكيد والضر والحسد وهو السحر الحرام . سحر مطبوع وسحر مصنوع : همـا قوام عرش المرأة في مملكة الملاحة والجمال .

دمشق — وداد سكاكيني

كأس

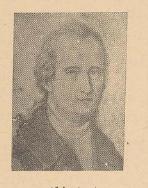
لوصفي قرنفلي

•

حمص

يا نفحةً من السماء ، هفهفت علـى قـدحْ
شقت عمود الليل ، فانشقّ ، وهمّت ، فانطرحْ
وانسربت اسراره ، عن شبحٍ اثر شبحْ
في برعم الكأس رؤى عذراء تطفو ، ولُمَحْ
والحلمُ مجهودٌ ، سرى على الحفافي ، وسرحْ
يا ليلُ عدْ بالحب والاحلام ، واخفق يا مرحْ
هزّت دمائي نشوةٌ ، وغمغمت ، أين القدحْ

الحركة الفكرية في يوغوسلافيا


اوبرادوفيتش

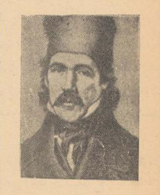
وجد اليوغوسلافيون انفسهم ، منذ مستهل تاريخهم ، خاضعين لمؤثرات الفاتحين من الشرق او من الغرب . على ان الجهاد الشاق الذي قاموا به طوال قرون اغنمان كيانهم لم يصرفهم عن العمل على صيانة استقلالهم الروحي . ومما لا شك فيه ان الكلام عن الحركة الفكرية في يوغوسلافيا كلام عن شعر وقصة ومسرحية تكاد تكون مجهولة ، وهي صورة عن عواطف شعب عاش حتى ١٩١٨ كما يعيش اليوم خاضعاً لسيطرات مختلفة . هذا الى ان اختلاف الدين — الارثوذوكسي والكاثوليكي والاسلامي — دمغ بطابعه هذه الحركة التي توحي القلق للوهلة الاولى . ففي بوسنيا مثلاً نجد ادباً شعبياً مكتوباً باحرف عربية ، وادباً آخر مكتوباً بلغة المانية . سوى ان هذه الظواهر خداعة في الواقع فالروح الوطني يجرى فيها من منبع واحد . ومن ينعم النظر في الحركة الفكرية اليوغوسلافية يتضح له ان ثلاثة عوامل سادت تطور الادب اليوغوسلافي بعد الحرب الكبرى الماضية ، هي العامل الاجتماعي ، والعامل الوطني ، وتأثير الاتجاهات الادبية الاجنبية .

فبعيد الحرب ، عندما اصاب اليوغوسلافيون من مطامحهم الوطنية حتى اكتفوا ، راح الانتاج الادبي يستوحي الحماسة الوطنية على الخصوص ، وكان الادباء ، شرتيتش وفوانوفيتش ونازور ، لولب هذه الحركة . وسرعان ما ظهرت بوادر شعر غنائي مدموغ بطابع برناسي ورمزي جاء في مطلع القرن من فرنسا ومن سائر الاوساط الادبية الكبرى . وهذا الاقتران للمؤثرات الخارجية بالتقاليد الوطنية برز بروزه الجلي في مؤلفات دورسيتش وبراكيتش ، كما برز في صنيع اليفوفانوفيتش ونازور ونزوبانسيتش ، زعماء حركة اتسمت بالتحمس الشديد في كرواتيا ، وسلوفينيا واعطيت اسم « الحركة الحديثة » .

على ان هذه الوثبة لم يطل امدها ، فما لبثت المسائل الاجتماعية التي احدثت يقظة في جميع النفوس من جراء العراقيل والمصاعب التي اصطدمت بها الحياة اليومية بعد الحرب ان احدثت في الادب اليوغوسلافي الذي عملت الثورة الروسية عملها فيه رجعة ضد الروح الوطنية غذتها المنازعات الاقليمية التي بلغت حدها الاقصى خلال سنتي ١٩٢٦ و١٩٢٧ .. فشهدنا عندئذ انقلاباً خطيراً لجميع القيم اسفر عن اعراض القسم الاكبر عن ممثلي الفكرة الوطنية كبرادوفيتش وفوانوفيتش ونازور .

وهكذا فتح عهد الاتجاهات الاجتماعية في الادب ، واذا بامتداح الاخاء الانساني والاشادة به يسحق اطارات الوطنية « الضيقة » وتحل الفكرة الدولية محل الفكرة الوطنية . فكرليزا ودراغويزا فازيتش اشد تحمساً لآلام الانسانية الشهيدة منهما للشعور بالعزة الوطنية . فالقصص الاجتماعية والانتقادات المرة القاسية المصوبة على مجتمع يميل الى الانحطاط والتحليل الجريء لبورجوازية « فاسدة الدم » ذلك هو المتاع الادبي الذي اعطاه كرليزا ، هذا الاديب الكرواتي الذي يستطاع ادراجه في رأس الادباء ، وهو شاعر وقصاص ومؤلف مسرحي ونقاد في آن واحد ، حولته الحرب الماضية من وطني متحمس الى دولي وثوري . ومن اشهر مؤلفاته : « غلمباي » وهي قصة عائلة بورجوازية كرواتية ملأها الكاتب بالتهكم ، و « الاله الكرواتي » وهي قصة حرب ، و « عود فيليب لاتينوتي » .

وعلى هامش الجهود التي يبذلها ادباء ككرليزا وسيزار تزوبوراستانكوفيتش — وهذا


كاراجيتش


بتروفيتش نجيغوش

الاخير نسيج وحده في القصة اليوغوسلافية الحديثة — تظهر مؤثرات مختلف الاتجاهات الادبية الاجنبية ، فيعرض من جديد عن التقاليد ، ويتراخى الانشاء ، ويعتنق الشعراء الشعر المطلق من الوزن والقافية ، وينقاد الجيل الجديد انقياداً اعمى للمدارس الاجنبية .

سوى ان هذا النزق الصادر عن الشباب ما لبث ان زال ورأينا الادباء الاجتماعيين ينطلقون في موجة من الادب الطبيعي يمثله بوراستانكوفيتش الذي ألمعنا اليه الى جنب كرليزا . وبوراستانكوفيتش من ادباء العزلة الذين يصفون الحياة اليومية بكل ما فيها من مرارة العيش . وقد كتب قصته « الدم الفاسد » ليصور لنا فتاة زفت بالرغم منها الى رجل يهملها فتكبح شكيمة مشتهياتها النسائية ، لتعيش في وسط تمقته .

وقد قلنا ان ستانكوفيتش نسيج وحده في القصة اليوغوسلافية الحديثة . والى جنب مؤلفات هذا الكاتب الخطير تقوم مؤلفات كتاب يتعمدون الغموض في الانشاء رغبة منهم في الخروج عن المألوف فلا يلقون من اقبال المتأدبين ما يأملون .

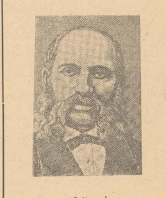
وثمة جملة مجلات ادبية تعمد الى مقاومة الاتجاهات الحديثة ، وقد قدر لبعضها ان يصمد في وجه موجة الشباب الطاغية ، وفي عداد هذه المجلات « الفكرة » التي يحررها نخبة من الكتاب السربيين مستهدفين ارجاع الادب اليوغوسلافي المزعزع الى سابق عهده . ويتسم الادب اليوغسلافي الحديث بالمسحة الغنائية . والغنائية اليوغسلافية متسمة في اقلام « الشيوخ » والشباب معاً بعودة الى الحياة الداخلية المموهة بالتصوف . ومن الشعراء الجدد الذين يمثلون هذا التطور حق التمثيل كرنجانسكي وكرليزا ومازو كاو دوروزتيش واوجيفيتش وايفواندريتش وديزانكا مكسيموفيتش . فكرنجانسكي شاعر حتى في قصصه . واوجيفيتش يسير على غرار فيللون وجيرار ده نرفال وفرلين . وهو بعد ان كان عضواً نافذاً في جمعية الشباب الوطني الكرواتي غادر زغرب الى بلغراد ليدرس في جامعتها ولكنه لم يجد الوقت الكافي للحصول على شهادات او انه لم يعبأ بالشهادات وبقي « آخر عظيم في بوهيميا » . وصفوة القول ان اوجيفيتش من امراء الفكر ومن الشعراء ، بل من كبار الشعراء الذين يخلعون على شعرهم الطراوة والصدق في التعبير الذي لاغنى عنه للشاعر .

اما دوزتيش في طليعة كبار الشعراء اليوغوسلافيين المعاصرين ، فبعد ان تأثر بالبارناسيين والرمزيين الفرنسيين تطور نحو الشعر المتحير بين الضوء والظل . وراح يسعى لتثقيف الحب وتحويل العاطفة الى المعنى الروحي . ويمتاز هذا الشاعر باطرائه عظمة الماضي والحث على الايمان بالمستقبل . وهو الى ذلك ناثر من الطبقة الاولى وله مؤلف « كنز القيصر رادوفان » الذي يحتوي على اجمل صفحات في اللغة الكرواتية .

وبالرغم من الفوز الذي ادركه بعض القصاصين ما يزال للقصة القصيرة قصب السبق بفضل مواهب فلجكو بتروفيتش وزيغادينوفيتش وكاشانين وسيب ميليتشيتش وشوازيتش وهنزا اومو ، وهو قصاص مسلم يعيش في سراجيفو .

وقد يكون اوبراد وفيتش (١٧٤٢ — ١٨١١) وفوك كاراجيتش (١٧٨٧ — ١٨٦٤) في الرعيل الاول من الادباء الذين صدر عنهم الادب اليوغسلافي الحديث . اما الشعر اليوغسلافي فمما لاشك فيه انه صادر عن بريراد وفيتش وفراز ومرتيش ومجورانيتش ، مؤلف « موت اسماعيل آغا » الذي يجري في حلبة واحدة مع « اكليل الجبل » للامير الاسقف بيتار بتروفيتش نجيغوش .

ومجمل القول ان الادب اليوغسلافي الحديث لم يتخل عن شيء من طابعه الوطني المستمد من مصادره الخصبة ، من ذلك الشعر الشعبي وتلك الاغاني اليوغسلافية التي ينعكس عليها ماضي الشعب وآلامه ومطامحه .


ماجورانيتش

مادلين بروهان في دور ماريان

جميع الذين عرفوا مادلين بروهان من بول ده سان فيكتور الى جول جانين الى ارسين هوسي الى روجيه ده بوفوار الى تيوفيل غوتيه انشدوا جمال « عينيها السوداوين الكبيرتين » . والواقع ان عيني هذه الممثلة الكبيرة لم تكونا سوداوين ولا زرقاوين ولا كستنائيتين بل كانتا كل ذلك في آن واحد، او بالاحرى كانتا تتبدلان بتبدل شعورها وتتخذان الواناً غريبة مرهقة .

في ١٥ تشرين الاول ١٨٥٠ عندما استهلت مادلين بروهان عهدها المسرحي كانت في دون السابعة عشرة من عمرها ، ولم تخرج دور ماريان للشاعر الفرد ده موسه الا في العام ١٨٥١ بعد ان ادركت فوزاً كبيراً في دور سليمين بمسرحية « الميزانتروب » لموليير .

كانت مادلين بروهان جميلة كتمثال من الرخام ، وكتمثال من اللحم والعظم كانت تتفتح لجميع انغام الشباب والذكاء . وكانت تتبسم كآلهة فتشرق النجوم في عينيها .. السوداوين ... وينبعث السحر من جملة وجهها الجذاب .

كان دور ماريان الدور السابع الذي مثلته مادام بروهان على مسرح موليير (الكوميدي فرانسيز) . وتتلخص مسرحية ده موسه : « اهواء ماريان » Les Caprices de Marianne في ان ماريان تضمر الانتقام من زوجها كلوديو الشديد الغيرة عليها . ويأتيها ابن عمها او كتاف ليكاشفها حب صديق له يدعى كوليو ، فتقول له : « تكلم باسمك انت ! . » فيرفض اوكتاف هذه المطارحة، ويضرب للحب موعد تحت شرفة ماريان .. في الليل . على ان اوكتاف يرسل كوليو مكانه فيدهمه الزوج بخنجره ويرديه قتيلاً . اما ماريان فلا تأسف على كوليو وتواصل حبها لاوكتاف . سوى ان هذه المسرحية التي كتبها الشاعر بدون خطة لم تلاق نجاحاً كبيراً بالرغم من شهرة الممثلين الذين اخرجوها . وقد قالت مادلين بروهان فيما بعد : « لقد اصاب الجمهور في انه لم يبالغ في غمره اياي بالبخور عندما ظهرت للمرة الاولى في دور « ماريان » ، هذا الدور الاصطناعي المعقد . فمن لمس فيَّ شيئاً من المهارة و « الكياسة » وجمالا فجاً كثمرة لم تنضج . وكنت يومئذ كثيرة الحركات — شأن كل مبتدىء . . »

مادلين بروهان

وقالت ايضاً تحدث عن ده موسه في ذلك العهد : « كان الشاعر الكبير يأتي كل مساء يعلن فيه تمثيل « اهواء ماريان » الى المسرح ليمسك بنفسه السلم التي كنت اضطر الى تسلقها لدى ظهوري على شرفة بيتي في الفصل الثاني من المسرحية . وكان لا بد من ايد قوية تقبض على السلم لاستطيع حفظ توازنها . واذ كان ده موسه يدعي لنفسه القوة الكافية للقيام بهذه المهمة فقد كان يأبى القيام بها على احد سواه . على ان قوة ده موسه لم تكن توحي اليَّ الطمأنينة التامة،

هذا الى ان رائحة الابسنت التي بقيت تفوح من فم الشاعر حتى توفاه الله كانت تزعجني مقدار ما كان يخيفني رجفان يديه ٠٠ »

وقصت مادلين بروهان هذه القصة الثانية : « كثيراً ما كنا نرى شاعر « الليالي » يطوف اروقة مقاصير الممثلين والممثلات منشداً اغنيات خفيفة قارعاً جميع الابواب وهو يتلفظ بكلمات « بذيئة » بحق الممثلة السيدة السلان التي كان يمقتها ، وكثيراً ما اضطر الخدم الى اخراجه بشيء من الرقة والقساوة ٠

« وفي مساء يوم قرأ ده موسه نقداً قاسياً لبريفو Briffaut فأخذ بيده خمسين فرنكاً وراح يطوف الاروقة ، وكلما التقى ممثلا او ممثلة صرخ قائلاً : « السيد بريفو خسيس ٠ كان بحاجة الى خمسين فرنكاً فهذه هي ٠ خذوها له ثمناً لنثره ولا تنسوا انه خسيس ٠٠ »

كانت مادلين بروهان مشهورة بذكائها وسلامة منطقها ٠ وكثيراً ما ألهمت الشعراء ٠٠ وكثيراً كثيراً ما تغنى الشعراء بها ٠ قالت : جاءني يوماً شاعر وسط ٠٠ او دون الوسط وراح يحدثني عن عيني امي ٠ قال : « آه يا سيدتي الانسة لو تعلمين كم كنت احب امك ! ٠ كنت اصرف جميع سهراتي في المسارح التي تمثل عليها ٠ يا لعينيها ! يا لسحرها ! يا لروحها ! آه يا سيدتي الانسة ! ٠٠ آه ! ٠٠ » فقلت له بلهجة رصينة : « اتراك والدي ؟ ٠٠ »

وكانت حكيمة تعرف مقدارها فلا تدعي لنفسها ما ليس لها ٠ ففي العام ١٨٨٥ عندما صح عزمها على ترك المسرح نهائياً قالت للذين جاؤوها يحتجون على هذا العزم : لا يا اخواني لن اعود الى المسرح ٠ فقد تركت ادوار « الخطيبات » في الوقت الملائم ٠ وها انذا اترك ادوار « الامهات » التي نلت بها كل ما كنت ارغب فيه من النجاح ٠ فقد آن لي ان اذهب من تلقائي قبل ان يسأمني الجمهور ٠ واريد ان اذهب بدون قرقعة ٠٠ وقد ذكرت في وصيتي انني احب ان ادفن ببساطة وان لا تلفظ اية خطبة على قبري ، فالمسرح وفر لي جميع الملذات التي يستطيع توفيرها ٠ اما مذكراتي ٠٠ فلن اكتبها اذ يجب علينا ، نحن ابناء موليير ، ان لا نفشي سر المهنة ٠٠٠ فالذي يعيش عهداً طويلاً بين رفاق شاطرهم افراحهم واحزانهم لا يحق له ان يذيع نقائصهم الطفيفة ٠ واما حياتي فأرى انها لا تهم سواي ٠ »

الشاعر الفرد ده موسه

وهكذا استحقت هذه الممثلة الكبيرة الطيبة القلب ابيات دعاس الاب :

Reine de l'éventail, elle a de Célimène
Les grands airs et l'esprit sans la méchanceté;
Mais oubliant les traits aigus de l'inhumaine
S'il eût connu son cœur, Alceste fut resté.

واستحقت ايضاً ابيات تيوفيل غوتيه :

Type charmant et pur dont le ciel est avare
Et que d'un fin crayon l'artiste copia,
Scribe salue en vous la Reine de Navarre
Musset, sa Marianne et de Belloy, sa Pia !

حديث عن الهنــــد

بقلم امين الغريب

◆

في هذه الايام والهند قبلة انظار العالم، لا بأس في القاء بعض المعلومات الدقيقة عن الحياة فيها، تنويراً لاذهان المطالعين والباحثين: الهند بلاد واسعة مساحتها ٣ ملايين كيلومتر مربع • وعدد سكانها نحو اربعمئة مليون • يتكلمون بمئتي لغة مختلفة • وقد احتلها الانكليز منذ عام ١٧٥٣ لكنهم لم يحاولوا نشر لغتهم فيها • بل تعلموا هم لغات الهنود • ولما عقد هؤلاء الهنود مؤتمراً منذ بضعة عشر عاماً وارادوا وضع دستور للهند على ان يسعوا لتحقيق استقلالها خافوا التحاسد ما بينهم على اللسان الذي يوضع به • فعمدوا الى التفادي باختيار لغة يقرها الجميع • أفتدري اية لغة اختاروا ؟ — الانكليزية !

موظفو الانكليز في الهند

اما الانكليز فقد انشأوا مدرسة عليا في بلادهم لتعليم الذين يهيئونهم للذهاب الى الهند وتقلد وظائف في حكومتها • وفضلوا حصر الوظائف في ابناء الموظفين لتشبع الجو الذي نشأوا فيه والهواء الذي تنفسوه من روح الهند • فيدرس التلاميذ تاريخها المسهب، وجغرافيتها المفصلة، واصول دياناتها الوثنية والاسلامية، وقوانينها الدينية والزمنية • كما يدرسون المنطقة التي سيستوطنونها • ويخضعون لامتحان صارم قبل الابحار اليها • حتى نساء الموظفين اللواتي لا شأن لهن في الادارة تُرغمهن الحكومة في درس الامور الضرورية لهن هناك • وتجزي الناجحات بضروب من المكافآت • ولا يتناول الموظفون الانكليز في الهند مرتبات عالية • ففي عام ١٩٣٠ كان مرتب القاضي الانكليزي او الوطني على السواء ٢٦ جنيهاً في الشهر •

اقسام الهند الادارية

والهند قسمان احدهما يحكمه الانكليز مباشرة ويبلغ ثلثي مساحتها • والثلث الباقي يحكمه الملوك والامراء حكماً وراثياً • ولكي تتصور اتساع الهند نقول ان هذا الثلث الاخير يقسم الى ٧٠٠ مقاطعة مستقلة في ادارتها • بعضها كبير كحيدر آباد التي تساوي حجم انكلترا وويلس • وبعضها صغير لا يزيد عن بضعة اميال • وألقاب الامراء مختلفة كنظام حيدر آباد، ومهرجاه كشمير، ومهرجاه اوديبور، (وهؤلاء يملكون حق الحياة والموت) ونواب بهوبال، وجام صاحب توانجار • وكل هؤلاء ملوك • ثم امراء يدعون راجاه وبونياه او تاغور او جاجردار وهلم جراً • ثم تقسم هذه المقاطعات في دورها الى قسمين : ذات التحية، وهي التي يحييا ملوكها باطلاق المدافع بعدد يتناسب مع اهميتها • وغير ذات التحية، وهي المحرومة من هذه المزية • وحاكم هذه الاخيرة يدعى في الغالب زعيماً •

من هذه الممالك خمسون تربطها بانكلترا معاهدات دفاعية هجومية • ومنها ما يحتاج حكامها الى سند خطي انكليزي يؤيدهم (كالفرمان العثماني) • وبعضهم ينضوي عدة منهم بسند واحد • وبعضهم ينتمون الى مقاطعات كبرى • والحكام يختلفون في طبقاتهم الاجتماعية واديانهم، وعناصرهم، ولغاتهم • وقد تنتمي الى حاكم واحد عناصر متعددة ولغات كثيرة • فحيدر آباد، وبهوبال، وبالنبور اسلامية • وبوربندار، واوديبور وغيرهما تعود في التاريخ الى ابعد من ٥ آلاف سنة • وبعضها حديث كطوبنك وبنارس ألفه الانكليز تبعاً لمقتضيات الحال • وقد يكون الحاكم غنياً كبيراً نظير مهرجاه اندورا • لكن ذلك لا يعليه في شرف الاصل والفصل الى طبقة امراء راجبوت الصغار فهؤلاء لا يصاهرونه • كما ان اكابر الامراء لا يقترنون بالاوروبيات كيلا يحول ذلك بين ابنائهم وبين العرش • اما المسلمون فيقترنون احياناً بأوروبيات • اما امراء راجبوت الصغار فيعدون بمولدهم ومنظرهم واخلاقهم ازهار الهند الناضرة • لكن عددهم لسوء الحظ يتناقص • ومن مفاخرنا الخاصة ان كتاب الانكليز عند الكلام عنهم لا يجدون لهم اشباهاً في الفروسية والشهامة الا العرب • وهم يفخرون بمولدهم • وقوانينهم في الزواج صارمة حتى ليعسر غالباً ان يجدوا لهم اصهاراً اكفياء • فلذلك شاع بينهم قتل الاناث من اطفالهم شيوعاً كاد يستأصلهم قبل ان استأصل الانكليز هذه العادة منهم •

طبقات الهنود

اول ما تصطدم به عين الاجنبي في الهند بروز الفوارق والمميزات بين الطبقات . فالبرهمي اهم من البنغالي . والبرهمي المقيم في البنغال يفقد بعض مزاياه بالنسبة الى براهمة كشمير . ولا تقتصر الفوارق على المتقدمين في الهيئة الاجتماعية . بل يدر قرنها في كل مكان حتى بين الخدم والحشم . فالطاهي في المطبخ يأنف من غسل القصاع . وغاسل الصحون لا يخدم على المائدة . وخادم المائدة لا يكنس الارض . واي من قام بعمل غير مقرر له يفقد شيئاً من مكانته في نظر الباقين . وهكذا الحال بين الجنسين . فالذكر اوجه من الانثى . واذا جيء بردائين ثقيل وخفيف كان افضلها للصبي . وعن هذا الاهمال للبنات تزايدت وفياتهن حتماً . وزاد عدد الرجال ، فلم يبق للعوانس من اثر . ثم جاءهم الانكليز حكاماً وفيهم ميل فطري الى التجنب والامتناع . فدعاهم الهنود « البراهمة البيض » واعلوا مقامهم على براهمة الهند السمر النحاسيين . واعلى رجال الهند على الاطلاق « السادو Saddhu » الذين زهدوا في الامور الدنيوية . يقابلهم عند المسلمين « الفقيرون » فالسادو يعدون بالالوف . لكن اخصهم وارفعهم مكانة البوجيون . وهؤلاء لا يزيدون عن عدد اصابع اليد . ولا يميزون عن سواهم لان تمييزهم يقتضي بعض الرقي الروحي في من يحاوله . اما الذين يأتون الينا احياناً بصفة سادو وفقيرين فمقلدون كذبة . لان الحقيقيين المخلصين منهم لا يتجاوزون حدود الهند . وطرائقهم تنتقل من المعلم الى التلميذ شفاهاً . والسادو يطوف البلاد مكتفياً بثوبه الواحد وما يقدمه المتعبدون من طعام وشراب . فيتقاطر الناس اليه مستلهمين مسترشدين . ويأتيه الملوك مستشيرين متبركين . وهو قليل الكلام ، حكيم ، واسع الاطلاع . لا يتقاضى عن تعاليمه اجراً ويجتنب التظاهر ، ويرفض التكريم لانهما يضران بروحه .

الفوارق بين طبقات الهنود

وقد ذكرنا المميزات الفارقة في الهند . ولكي تدرك اهميتها نسرّ اليك همساً عدد الطبقات المتفاوتة في الهيئة الاجتماعية . فليست هناك طبقات ثلاث نبيلة ، ومتوسطة ، ووضيعة . لا لعمري . بل ثلاثة آلاف طبقة مختلفة ، تبدأ بالبراهمة ، وتنتهي الى البارياه وهم المنبوذون . وليس هؤلاء المنبوذون قلالا . بل يبلغ عددهم ستين مليوناً من البشر الادميين الذين يعدهم مواطنوهم مدنسين ويستنكفون من النظر اليهم ويستفظعون ملامستهم . وفي امثالهم السائرة : « لا يعقل البارياه ما لم يضرب » . ولا يعلم احد كم وكم تعاقب من الاجيال والبارياه يتحملون هذا الاضطهاد حتى الفوه . وصار عندهم طبيعياً لا يستنكرونه ولا يعجبون مثلنا له . عندنا المال يتوصل احياناً الى طلي سحنة صاحبه بصباغ من النبل يزيل الفوارق الاجتماعية . اما في الهند فأموال قارون لا تمكن « منبوذاً » من يد فتاة برهمية . والفوارق الاجتماعية في الهند كالعادة في البدن لا يزيلها غير الكفن . لان ولادتك في طبقة منحطة عقوبة سماوية لك على شرور اقترفتها ايها الشقي في حياة سابقة . فكيف ترقى من هذه الطبقة الى سواها بوسائل ارضية . وكيف تعفي نفسك من العقاب رغم انف الآلهة الذين قضوا به عليك ! اما البنات في سوق الزواج فسلعة لا رأي لها . قد تخطب الواحدة لعريسها قبل ان تولد ، وبعد نموها لا تنقض كلاماً ابرمه ابوها . وتعدد الزوجات مباح . اما ان يكون في صدر الفتاة الهندية قلب يحب ويهوى فهذا غير معقول هناك . والسيدات الفاضلات ينحصرن في منازلهن لا يغادرنها طول العمر . ويعدل بسبعة عشر مليوناً عدد المخدرات المحبوسات هكذا لمزيد افتخار رجالهن الكرام . هذه الطريقة تدعى « البودرة » ولا تقتصر على الهندوكيين بل تتناول غيرهم ايضاً .

على ان اهم عادة تتعلق بالنساء المتزوجات في الهند فتدعى « سوتي » اي وأد الارملة مع جثة زوجها .

اين تموت المرأة لموت زوجها

حقاً ان الرجال مهمون في كل مكان — على ما تعتقد النساء . لكنهم في الهند اهم واعلى في نظر زوجاتهم منهم في غير اماكن . لان المرأة هناك اذا مات زوجها لم تتخل عن زخارف الدنيا ومبهجاتها حزناً وحداداً عليه . بل تخات عن الدنيا جمعاء ورافقته الى الابدية رأساً . وفي شمال الهند يحرقون موتاهم . فكانت الزوجة الشابة الممتلئة صحة ونضارة تدخل النار مع جثة رجلها مختارة . فيطيران في الجو دخاناً قاتماً كريه الرائحة .

ومما يستحق الذكر ان اباطرة المغول الذين حكموا الهند بذلوا جهوداً جبارة لمنع الرعايا من هذا العمل البربري . ولما دخل الانكليز البلاد استأنوا لانفسهم عدم التدخل في العادات الجارية والتقاليد المأثورة . لكن تذمر الاجانب من هذه الامور اثار الرأي

العام في لندن سنة ١٨٠٥ فظلت الحكومة البريطانية ٢٤ سنة حائرة في امرها . واخذت تكلف المأمورين ليمنعوها دون قانون . على ان الحوادث تتابعت وتزايدت في بنغال خصوصاً واخذ المرسلون المسيحيون يبذرون بين الهنود بذور الاشمئزاز منها . فاصدر الانكليز قراراً بمنعها في ٤ كانون الاول ١٩٢٩ وخشوا من شبوب ثورة في الجيش الهندي وهياج بين الاهالي . فاحتاطوا لذلك بتدابير شديدة . لكن الامر انقضى بعريضة احتجاج امضاها ثمانمئة من اعيان البلاد .

على ان الاهالي خالفوا القرار مراراً . ولا يزالون يخالفونه كلما تيسر لهم ذلك . فدفن الارامل مع رجالهن معدود هنـاك من ادلة الشهامة وعزة النفس في النساء . ومنع الارملة منه يعادل مراودتها عن نفسها وشرفها . وفي التاريخ ان الوطنيين في شيتو كانوا يدافعون دفاع اليائسين عن حصن راجبوت . وازفت الساعة لخروج الرجال من القلعة بهجوم على موت مقرر . فاوقدت نساؤهم ناراً ولجنها بطيبة خاطر تاركات للهند تذكاراً رائعاً . والى يومنا هذا لا يزال الطريق المؤدي الى تلك المدينة الخربة مزروعاً قبوراً نقشت على كل منها يد امرأة للدلالة على ان هناك بقايا مهجة من مهج الجنس اللطيف حملها اخلاصها لزوجهـا على مرافقته ، بل على سَبْقه وقتئذ ، الى الديار الابدية . وهذه الآثار الخالدة لاتزال وافرة في اواسط الهند .

اما الكبراء فكانوا يتنافسون في كثرة عدد النساء اللواتي يمتن مع زوجهن الواحد . ورب حاكم او زعيم مات معه سبعون زوجة . وفي فيجايانجار من الهند الجنوبية ملوك مات مع كل منهم ثلاثة آلاف امرأة في شرخ الشباب . ولا تزال محفوظة تقارير الشهود الاوربيين عياناً كيف كان امام كل ملكة رجل يمشي الى خلفه حاملاً لها مرآة كبيرة تنظر فيها الى سحنتها كيلا يغيرها خاطر من الجزع قد يخطر لها وهي سائرة الهوينا الى الضريح .

في تشرين الثاني ١٩٢٧ (منذ ١٥ عاماً) قاوم جمهور الاهالي في بيهار فرقة كاملة من البوليس وحالوا بينها وبين امرأة كان البوليس يريد منعها من الصعود الى الابالة المنصوبة لاحراق جثة بعلها . لكنها عندما لذعها اللهيب فرت من الحريق وارتمت في نهر قريب . على انها وقد نجت من النار ، لم تجد طبيباً يرضى بمعالجتها في اليومين اللذين قضتهما قبـل ان ادركتها المنية . ولما حكم بالسجن على الشيوخ المتهمين بتحريضها على الاحتراق ، احدث الحكم نفرة عظيمة بين الاهالي . والمفهوم من تعليل هذه العقلية ان الهندي اذا مات تمست ارملته جداً بين اهله واهلها على السواء ، وضويقت في عيشها مضايقة تفضل عليها الموت واياه .

الخلافات الطائفية

وهنالك الثيران والابقار المقدسة سبب خلاف دائم بين الهندوكيين الذين يعبدونها ، والمسلمين الذين يذبحونها ويأكلونها . تتجول في شوارع كلكوتا مثلاً حرة طليقة ناثرة على الارصفة والابواب اقذاراً مقدسة يعج فيهـا ذباب مقدس ناشراً مكروبات مقدسة بين مليون ونصف من سكانها المقدسين ! . وقد يتأتى لثورين ان ينسيا هنيهة جلال الالوهية ويتصادما في عراك مستطيل فيستوقفا حركة الشارع . او ينطرح احدهما ناعساً على مدخل المصرف فيمتنع الناس من دخوله حرصاً على راحة الاله النائم ، وتفاديا من ازعاجه .

تطهير النفس والجسد

وفي الهند طقس آخر عظيم الشأن يدعى كماهيلا . وهو الاغتسال في مياه تريباني اي ملتقى الانهر الثـلاثة لتطهير النفس من خطاياها والجسد من عاهاته . يقال ان مياه سارسواتي النهر الخفي تنبثق من تحت الارض مرة كل ١٤ عاماً . فتلتقي بمياه نهري الكنج وجوما في مدينة « الله اباد » . وفي الاسبوع كله الذي يكتمل فيه بدر كانون الثاني من تلك السنة يجتمع في النهر نحو ١٧ مليوناً من رجال متشحين بالبياض الناصع ونساء رافلات في ثياب بنفسجية يتقدمهم امراء وملوك ساحبين ذيول الخز والديباج والبرفير والارجوان . وترعم الاساطير الهندية ان ثلاث بنات للملك حملايا سيد الجبال المعدودة سطح الارض ، ترمز هذه الانهر بأسمائها اليهن ، ذهبن منفردات الى الله اباد وتكلمن عن ابيهن وجبروته ، وكل فتاة بابيها معجبة . وبعـد ذلك اصبحت سارسواتي تنبثق من الارض كل ١٤ سنة مرة لتجتمع بشقيقتيها . والمستحمون يسمعون حبابها فائراً من الاعماق . ولا يبالون بالبرد القارس في شهر الصقيع والزمهرير وكل هندي يتعذر عليه حضور هذه الحفلة في موعدها البعيد يستعيض عنها بالاستحمام ايان شاء في مياه الكنج وحدها في مدينة بنـارس لينظف جسده ونفسه من الامراض والخطايا . وكلهم يكرعون الماء بلذة اثناء الاستحمام مع انه ايس في الدنيا نهر اقل نظـافة من الكنج . اذ ليس على ضفافه من مراحيض لعشرات الوف المستحمين كل يوم فضلاً عن مئات المرضى المدنفين المحمولين الى بنـارس

ليلفظوا انفاسهم الاخيرة فيها ، فيأمنوا مشقة الرجوع الى هذا العالم وشقائه . فالهندوكي لا ينقضي دوره على الارض حتى يموت في بنارس ويذرى رماده في الكنج المقدس . وبنارس اقدم عهداً من رومية بستة قرون . ولا دين في الهند الا له معبد فيها . وكل سطوحها مواطي. لاقدام الآلهة . لكنها ليست ذات تاريخ . فالحياة في عرف اهلها حلم لا يستحق الحفظ والتدوين . واذا تعذر على الهندوكي الاستحمام في بنارس فني دلهي او نيزاك .

مدافن بمباي

في بمباي رابية تدعى ملابار على قمتها روضة تحيط بابراج الصمت الخمسة يدفن فيها البارسيون موتاهم . محيط اكبرها ٢٧٦ قدماً وعلوه ٢٥ وهي مسقوفة تحيط ببئر مجهولة القرار مدار فوهتها ٥ اقدام . وفي الجدار المحيط بها رتاج حديدي يفتح على المدافن الخمسة . وفوق هذه الابراج الصامتة تحوم اسراب من الرخم (اي الشوح) الجوارح تبلغ المئتين عداً فينظم البارسيون جثث موتاهم على افاريز في الابراج عارية كما خلقها الرب ، الاول للرجال والثاني للنساء والثالث للاطفال . وتنتظر الرخمات الضارية ان يغلق الباب الحديدي فتنقض على الجثة وتنشب مناسرها في لحمها حتى تأتي عليها ثم يأتي الحراس فيزجون العظام في البئر . ومعدل ما تنال الرخم ٤ ولائم كل يوم .

وهنالك طقوس كثيرة غير هذه ينفر الذوق الاجنبي منها ويتمنى نابهو الهنود لو يقضي الانكليز عليها لعجزهم هم عن معالجتها ومكافحة التيار الاهلي في شأنها . لكن الانكليز يأبون التدخل في ما لا يعنيهم . ولا يمنعون الا اموراً حيوية كاحراق الارامل وما شاكله من ضروب التعدي على الحياة .

غاندي

ولد غاندي في بيئة راقية واسرة غنية من البراهمة في ٢ تشرين الاول ١٨٦٩ واسمه الكامل موهنداس كرمشند غاندي . اما مهاتما فكلمة هندية تعني « الصالح » . ولا يزيد وزنه عن ٤٥ كيلوغراماً . ولا يأكل الا لبن المعز والتمر . كان والده وزيراً ، وامه تقية صالحة ، وقد تزوج يافعاً ، ورزق ولداً هو الآن في سن الشباب . وتلقى علومه في جامعة لندن . واخذت امه عليه المواثيق باجتناب الخمر واللحم والنساء . فحافظ على هذه الوصايا . وعاد الى الهند سنة ١٨٩٣ ومنها ذهب الى افريقيا الجنوبية حيث اشتغل في المحاماة . وعكف على درس العلوم الهندية القديمة واقتبس منها الحكمة .

وكانت في جنوب افريقيا جالية هندية عددها ٥٠ الفاً يسامون انواع الاضطهاد فوقف جهوده على الدفاع المعقول عنهم وتحسين حالتهم ورفع مستواهم العقلي والخلقي . وفي بداية الحرب العظمى اعتقل واعيد الى الهند بعد ما قضى في ناتال وجوارها زهاء ٢٠ عاما .

وكان يحب الانكليز بعد رشفه من مناهل ثقافتهم العالية ، وآزرهم في الحرب مؤلفاً فرقة من نقالة الجرحى . وبعد ذلك اخذ ينشر في بلاده افكاره الاجتماعية ويحث قومه على تحسين احوالهم الاقتصادية بصنع البضائع بدلا من جلبها من الخارج . وكان يغزل القطن لثيابه بيديه . وتمادى في ميادين السياسة بالاعتراض على ضريبة الملح وحمله الهنود على صنع ملحهم لانفسهم . وهذا ما دعي بالمقاومة السلمية . وكان في شبابه يتقن منظر ثيابه . اما الاسمال التي يظهر بها الان فقد قصد بلبسها ، وهو برهمي نبيل ، التشبه بجماعة البارياه المنبوذين توسلاً الى جمع الطبقات الحقيرة حوله واستمالة الجميع اليه . على ان دعوته الى العصيان باللين والتؤدة لم تكن تتحقق دائماً فيلجأ قومه الى العنف . ولهذا حكم عليه بالسجن ٦ سنوات في عام ١٩٢٢ واجريت له عملية الزائدة المعوية ايام السجن سنة ١٩٢٣ وفي اوائل العام التالي عفي عنه . ولم يلبث ان عاد الى تسبيب المشاغبات بدعوته فاعتقل ثانية عام ١٩٣٠ واخليت سبيله في شباط ١٩٣١

وقد تساهل الانكليز معه كثيراً فدعوه الى مفاوضتهم في لندن مع بعض زعماء الهند ، فاجتمعوا وتباحثوا . ولكن الخلاف شجر بينه وبين اغا خان زعيم المسلمين على حقوق الاقليات . فطلب غاندي تأجيل جلسات المؤتمر الى وقت آخر . وعند ذلك نصح مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية مندوبي الهند بالاتفاق ما بينهم او تحل انكلترا المشكل بمعزل عن آرائهم المتضاربة . وهم لا يجهلون طبعاً كم يضر اختلافهم بهم . ولكن احقاد العناصر الساذجة ، تحتاج كي تبرد ، الى زمن طويل .

ابن الغريب

الشاعر

كفّن اليقظة بالرؤيا وتاهْ … شاعرٌ كل المنى بعض مناهْ
تنزف البرهة من ايامه … ألماً يعصر للناس جناه
ايّ فجرٍ لم يشيّع مرتجى … صاغ في الليل مفاتيح دناه
ايه كم مدّ الى النعمى يداً … وتمناها ، فمالت عن مناه
هو في دنياهُ كالوهم فلا … فكرةٌ ضمّته او قلبٌ وعاه
جرح القلب هواه فانثنى … شاكياً يفضح للغير هواه
ظُنّ مسكيناً عرته جنّةٌ … فمضى يزحم في التيه خطاه
ليتهم يدرون كم من جنةٍ … اشعلت للكون مصباح هداه

ايها الشاعر ، غنّ نغماً … أسكر النفس ،ولم يبرح صداه...
غنه الياذة من هومر … امرعت والدهر لم يدرك صباه
غنّه ما شئت ... كم قيثارة … ابدعت في عالم الفكر الآه
سائل الاولمب من لبنان، من … ملعب الاغريق عن امس بناه
تتحدّى العبقرياتُ به … صولة الدهر وتُملي ما رواه ...
صوراً للفتح لم يحلم بها … قائدٌ ركّز في النصر لواه
هوذا الشاعر رمز الحق في … عالم ضلّ عن الحق وتاه
يصلب النفس ليفدي انفساً … مرغت في شهوة الحسّ الجباه

يوسف الخال

وحي طفولة

الخفقة الاولى

بقلم صلاح الاسير

◆

الصداقة

في عرف الناس ، هؤلاء السذج ، صلات يشترط فيها التبادل . ولا تنس كلمة « يشترط » فالدنيا عندهم قائمة على قرني الكلمة هذه ، وانا لا اعرف اننا كنا في العهد الذي جمعتنا فيه يد الفكرة ، على تبادل ، فانا اقبلت على تلك الدنيا من النافذة وظللت انت على سيف الشاطىء تحارين في تعليل دنياي التي شارفتها انت ، وظل شوقي يدنيك من جدرها العالية — ودنياى لها حيطان — واذا بك تغرقك النسمة ، وتدمي خديك الكلمة ، وتذهل عينيك دنيوات تروح وتجيء ، وكنت بعد في الثالثة عشر من عمرك في منطق الناس ، وكنت عندي تطأين وصيد شهرك الاول ، ابارك لك النقلة من يوم الى يوم ، وعيناك السوداوان ذاتا الالوان المجنحة ، تدفعان بي اليك ، وكنت تنوئين بجو لا عهد لك به من قبل ، فتفتحين النافذة وتتلاشين كسائر الناس . .

حتى اذا آذن الفضول بعودتك ، رجعت وفي نفسك اسفاف الجماعة ، يتخذ على وجهك غشاوة لا ظلال لها ، فكأن السويعات تفعل بك ما تفعله السنون بسواك ، فتجلسين الي وينبثق فمك عن سؤال او سؤالين ، لا تعرفين كيف ترسلينها على لسانك ، ولعلك بعد في غربة النفس تهذين ، فاستوضحك ، واذا ايضاحك يعتم ما كان نيراً في سؤاليك وتنسين انك سألت منذ هنيهة ، في الاونة التي قرعت كأسك بكأسي ، واذا كأسك فراغ وحش يودلو يحتضن من جديد خمرة جديدة ، وكأسي يحلو فراغه ، وانا في السكرة البعيدة ، في زاوية ذلك المربع الذي كنا نرتاده في كل يوم ، اذهب بك الى دنياي ، اعريك من برود رآك فيها الناس ، واحسبهم احبوك في ثيابك ، وعلى شاطىء الكأس تتلألأ عريتك ، واطوف عبر الهواجس ، وتوقظني كلمتك المرنة . « لم يعد ثمة وقت ! » وتتركين دنياي من جديد . .

*

في كتاب الذاكرة صفحة عادية ، اود ان اطلعك عليها فاعرض بذلك هنيهة بعيدة الاثر في حياتي انا على الاقل .

في امسية حلوة ، من امسيات ربيع عام ١٩٣٥ ، شاقني الجو فدخلت دار « الروكسي » واخذت اجيل نظراً حائراً في جمهور القاعة ويتقلب النظر ، ذات اليمين وذات الشمال ، واذا فتاة تصوخ عيناها في وجها تدخن في لا مبالاة ، عند الزاوية الشمالية الشرقية ، وما كانت لترى حرجاً وهي بعد في فترة القلق بين طفولة وفتوة ، في التدخين على مرأى من الناس وانا في العادة مولع بالذين يعرفون كيف يظهرون مساوئهم على وجهها الخالص ، فلا يتكلفون مسايرة البيئة او مصانعة الباصرة ، وقد يعجبني فيهم حبهم للظهور على المألوف ، فهم ابداً في الطريق الى امور غامضة توضحها ايامهم المتعاقبة ، ويسلمون ابداً في لجة الزمن . . كانت صاحبتي تدخن ، وتتخذ هالات الدخان حول وجهك الخمري اشكالا بارعة ، توحي اندفاعاً ويقظة ووعياً ، وتوحي فوق ذلك كلفاً بالفضول والتفكير ومثارات الالوان النفيسة ، فاخذت اعنى بك واحدق فيك ، وارسل النظرة غب النظرة حتى اذا غمرت العتمة القاعة ظل وجهك يتلألأ ملء الظلمة على سحر وفتنة غير كمينين .

وتعلمين ياصاحبتي انه لا بد من وقت تستريح فيه العيون على الضوء ، في دنيا الخيالات ، والصور الرافلة المتحركة الناطقة ، فلما كان ذلك الوقت خرجت تاركا لنفسي حرية السير في السبيل الذي تهوى على غير هدى ، واذا بي على مقربة من تلك الفتاة . . تمثال لأبولون . . تكاد تكون اكثر روعة ، لون الشروق . . فيها ما يوحي وما . . التعريف يذهب بكل ما فيها . . حتى اذا غمرت العتمة القاعة الفيتني مسمراً الى جانب مقعدها اشهد ولادة فكرة كان مخاضها عسيراً . . واني لاذكر ان فلماً شهدته في تلك العشية خالد ابداً في حياتي خلوده في كل ما كتبت ولم يكن لدى اي شيء اقول ، وكنت فراغاً من كل هم ، حقاً ان مخاض فكرتي كان غريباً ، ولكن نضوجها كان اكثر غرابة وغربة في نفسي . وخيل الي انني عرفتها ولم تلق شفتاي اسمها ولكن صدى اسمها يرف في اضلعي حلواً عذباً ، احار في وصل ما انقطع بين عقلي الواعي وعقلي الباطن . وتتردد في نفسي اصداء مختلفة الاختلاف كله ، وعيناي بعد اطبقتا عليها لمخافة انفلات عوامل ممتازة انيقة ، توفرت جميعها لتسهيل ولادة . . ماذا . . لاكن مبالغاً ياصديقتي . . ولادة عبقرية جديدة .

سوف يضحكك التعبير ، ولكن في ذلك عزاء لك من حيث لا تعلمين وانا اكره لك هذا الجهل ، فني رفلة الفراش على فم الزهر تيه عرفان النفس وما يرخي الفراش على الزهر من جمال وفكرة ، ولهو بريء ، الى غير ذلك من فضول الفراش ونزقه . . انه يعرف انه

شيء، وشيء رائع معطاء يرنح الزهرة، ويهدهد فكراً، ويموت على فم المصباح ضحية ادعاء جديد في دنيا اللذة .. فلما انتهى عرض «الفلم» اخذت اتمهل في الخروج مرافقاً كل حركة تبدو منك، فأخذت انت الحافلة في الطريق الى منزلك، وتركت لقدماي صعودها الحافلة، يواجه مقعدي مقعدك، وعلى شفتيك اصيل وشفق يؤلفان معاً بسمة خفرة، وفي يدك علبة انيقة للسكائر، ترقص بين انامالك وتزهو، وتنشق عن لفافة تشعلينها بمهارة التجريب والخبرة، ولم يكن ثمة ثالث في الحافلة، فهؤلاء الذين يروحون في شوارع العيش ويجيئون، لا يستطيعون ان ينالوا شرف احصائهم في نسق ممتاز، يعرف رونقه ومآتيه، اذن فلا ثالث في الحافلة .

مدرسة القرية

ويقول لي سعيد «الا تزور الشيخ» فاضحك واتمنى عليه ذلك، ويعود بي الحنين الى عشرة اعوام مسح عليها الفناء، ايام كنا نأتي في الصباح الى مدرسة الشيخ، واستفيق على صوت السعيد وهو يثب وثبة العصفور الظامىء الذي هبط العش! . دونك مدرسة شيخنا .. وهاك الشيخ .. وكأن قول غانم اثار في نفسي اضطراباً لا عهد لي به من قبل، فأضحك، واحاول ان لا اظهر سعيد على حقيقة ما في نفسي، فيضحك هو الاخر، ولعله فقه لضحكي سبباً، ووقفت انظر الشيخ وهو يسير قرب «كتّابه» متمتماً عابساً كعادته يعلو صوته آناً ويخفت آناً، وهو فخور بما منّ الله عليه من علم وافر، وصوت ماتع يهدر آناء الليل واطراف النهار، وكأنه يخاف ان هو اراح نفسه ان يذهب الله بصوته ويبدله صوتاً آخر، فهو كلف به حريص عليه، ثم يرانا فيعتدل في قامته ويحاول ان يخفي ما به من عناء وعجز ظاهر، وشيخوخة بادية .. واتقدم من ذلك الشيخ الصالح اقبل يده، في احترام وشوق، واذكر انني في يوم من الايام كان الشيخ لي «بوماً» وجعلت احدق فيه فأراه صورة مجسمة رائعة للماضي، وينشق السؤال عن فمي قسراً فأسأله عن حاله فيقول لي، انها هي نفسها لم تتبدل، فهو ما برح كلفاً بتهذيب اطفال القرية محباً لهم عطوفاً عليهم .. وجعلت القي نظرة على الاشياء الموجودة في غرفة الشيخ، فاذا هي قطعة من التاريخ لا تزال حافظة لعهدها القديم، فالطاولة واحدة والحصير واحدة، والقصبة والدواة وسجادة الصلاة، هذه كلها ثابتة على الزمن ليس يعروها فناء او استحالة .. وهنالك تحت «اشجار الزيتون» الدائمة الخضرة، مسرح احلامنا في الامس، كنا نجلس للتآمر على معلمنا الطاهر، وعندما يبتلع البحر الشمس وتسقط العتمة، وتفوح العطور والانداء، ويعم الفضاء سكون رهيب لا يعكره غير طنين الصراصير وصلصلة الاجراس الخافتة، ونقيق الضفادع من قمة الجبل، كنا نقترب من حجرة الشيخ نقذفها بالحجارة، فيخرج شيخنا فنضحك منه، لانه لم يكن ليرى لنا مكاناً فبعضنا يتسلق شجرة الزيتون القائمة فوق حجرة الشيخ، وبعضنا يدور حول منزل الشيخ القديم ويقف على اطلاله الدارسة، وبعضنا يدخل حجرة الشيخ عند خروج الشيخ منها في البحث عن هؤلاء الذين يقلقون امنه ويعكرون عليه صحو ليله الذي كان يقضيه بترتيل ما تيسر من «الكتاب» . وكنا نعود بعد ذلك الى المنزل فوجاً غب فوج، فنسير بخطى متثاقلة، وقد افعمت قلوبنا حبوراً وهناء، نفكر في سذاجة بالشيخ الذي كان صورة كاملة لجيل آن له ان يهمّ بالرحيل، ونفكر في اخلاقه، وهو مع ذلك صابر على ما يناله في غير اكراه ولا مقت! .. اراه الان وقد اشتعل رأسه شيباً، فاذكر ايامي تلك وكيف كنت اعبث بهذا الشيخ الهرم الخرف، وانظره يستلقي بقامته الطويلة في اهمال وفي غير اكتراث، على الحصير العتيقة، وهو يمعن النظر في الاغنام العائدة الى حظائرها يحدوها سلطان الكرى، وتوقظها عصا الراعي الدائمة اليقظة!! ويقص علينا الشيخ بعد ذلك، ما علق بذاكرته من اعمالنا، فارتاح الى حديثه، وأرهف اذني الى سماع كل كلمة تخرج من فيه لانني ارى في حديثه هذا شيئاً مني طواه الزمن فينشره امامي الشيخ نشراً، ويسألني عن المدينة ومدارسها، وعن طرائق المعايشة فيها، فأضطرب واجيبه : — لو انني خيّرت بين البقاء في «كتّابك» على الذهاب الى جامعات المدينة لفضلت «كتّابك» فلقد طعمت من هذا الغذاء الدسم عشرة اعوام كاملة، فما افادني شيئاً، واراني احترم هذه الحجرة، التي تعلمت بين جدرانها ان الارض مسطحة لا تدور، منها الحياة واليها الرجعة، وما عدا ذلك من الآراء هراء لا محصول وراءه! . ويلفح نسيم المساء وجهي، فاشعر بقشعريرة تهزني هزاً، فأودع الشيخ، وأعود وسعيد، وانا غارق في بحر التأملات، يخلع عليه خيالي بهاء الطفولة، وعواطفي سارت في الطريق الى القلب البعيد، اننا كنا في دنيا الطفولة كالوردة الندية فوق الغصن المخضل في رونق الربيع الصاحي، نرى الحياة لهواً ومرحاً، وخفق جناح، ونحسب الكون يبدأ بحجرة الشيخ وينتهي بما وراء الحقول حيث تخضوضر اشجار الزيتون الى الابد .. ولكن سقطت الوردة ويبس الغصن وزال البهاء، ولقد عصرت الشمس غصناً حتى بات يابساً لا رطب فيه، فليتنا اطفأنا نور الشمس بأكفنا من على سطح شجرة الشيخ وليتنا بقينا على قمم شجرات الزيتون اطفالا حتى آخر الابد ..

صلاح الاسير

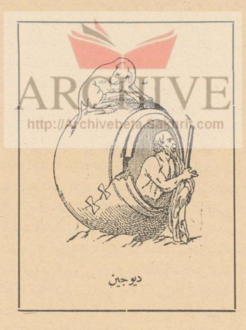
ديوجينيس

بقلم راجي الراعي

◆

ذلك الفيلسوف اليوناني الكبير الحكيم الماجن الوقح الهازئ، المستهتر ما زال اسمه يدوي في انحاء المعمور وتتجاوب باصدائه عوالم الفلسفة والادب والحكمة والخيال، ومن لا يعرف ديوجينيس الحامل مصباحه عند الظهيرة يفتش عن رجل والمتدحرج ببرميله غير عابئ بالنظام ولا مكترث لاوضاع البشر وتقاليدهم . .

قام في اليونان وقبل اليونان وبعدها وما زال يقوم — والحمد لله — فلاسفة عديدون ولكن لديوجينيس وجهاً يختلف عن وجوههم واسلاكاً تتصل بذروة الشهرة وقلوب الناس وبعد الفلسفة وقمة الخيال فهو ذو شعبية عالمية لم تتوفر لغيره من زملائه وهو ابرزهم اثراً وابرعهم تمثيلاً واخفهم روحاً واقربهم الى روح الجماعات وخيالها وكأن اسمه قرن حاد قاطع من قرون الفلسفة يشق كثافة الاجيال غير حاسب لتوالي الزمن حساباً وكأنه ولد امس فها هو اراه امامي وها مصباحه، مصباح الظهيرة ما زال مضيئاً في وسط هذه الكهرباء . .



ديوجين

ولد ديوجينيس في سينوب، والقرن الرابع قبل المسيح تغرب شمسه ومات في قورنثيه في السنة ٣٢٣ في اليوم الذي مات فيه الاسكندر في بابل. ومن سخرية الاقدار ان تقبض يد الموت في لحظة واحدة على الاسكندر وديوجينيس وهما الماء والجمر، والطمع والزهد، والهول والهزء . .

وكان ابوه هيساياس صرافاً لم يقف عند حد الصرف، فجاوزه الى تزييف النقود. وقد شارك اباه وهو بعد في سن الشباب في جناية التزييف واضطر الى الفرار من وجه القضاء . . واقبل ديوجينيس على ينابيع الفلسفة والعلم في اثينا. وكانت يومذاك منارة الدنيا، يعب منها ما يروي به ظمأ روحه، ذلك الظمأ الذي لا يعبأ بصرف النقود وتزييفها، فاذا هناك الفيلسوف العظيم انتشينه يتلو آياته على الخلق. فأراد ديوجينيس ان يتتلمذ له ولكن ذلك الفيلسوف رده عنه اول الامر ويقال انه ضربه فقال له ديوجينيس: « لن تجد العصا التي تردني عنك مهما غلظت ما دمت تتكلم». فلم يجد انتشينه بداً من التسليم، فرضي بديوجينيس طالباً غير ان هذا الطلب لم يطل به الامر حتى فاق معلمه في المجون . .

قضى ديوجينيس معظم ايامه بين اثينا وقورنثيه وقد يكون انه تنقل بين مدن اليونان مبشراً بمبادئه، متسولا رثيث الثياب، يقنع باغلظ الطعام ويبيت ليله في ساحات الهياكل. وكان يشتم من يصادفه ويعضه كالكلب كما كان يقول عن نفسه، مؤنباً الناس لرخاوتهم ونقائصهم وفارضاً عليهم مذهبه بوقاحة غريبة . . وكان ينظر الى سواد الناس نظره الى مرضى او مجانين ويرى ان الله خلقه ليكون طبيبهم المداوي، لايعرف غير نفسه ويهزأ بالقدر ويقول عنه :

« انني اراه واسمعه يقول مشيراً اليَّ : هذا المخلوق الوحيد الذي لا يد لي عليه ، هذا الكلب الكلب . »

ولد يوجينيس مواقف وكلمات وحركات شاذة ولكنها رائعة في شذوذها وما زال الناس يتحدثون عنها واليك بعضها :

كان الاسكندر ذو القرنين في احدى غزواته فقيل له : ان ديوجينيس الفيلسوف يضطجع هناك على العشب ويستحم في نور الشمس فعرج الاسكندر لساعته حتى اذا واجه ديوجينيس وقف يتأمله يحوطه القواد ووراءهم الجنود تملأ السهل والجبل ، وكان ديوجينيس يطلب الشمس فاذا بتلك الفخفخة اللجبة تحجبها عنه ، والاسكندر واقف ينتظر من فيلسوفنا كلمة كتلك التي اعتاد وهو ابن فيليب وفاتح الارض ان يسمعها والبخور يتصاعد منها . ولكن أتدري ما شعر به ديوجينيس في ذلك الموقف وما قاله للاسكندر ؟ قال له في حركة انزعاج وتململ : (حد عن شمسي .) فبهت القواد امام تلك الوقاحة واحمرت عيونهم ولكن الاسكندر تلميذ ارسطاطاليس التفت اليهم قائلاً : (لو لم اكن الاسكندر لوددت ان اكون ديوجينيس .) فتأمل ما اعلى ذلك الحظ الذي سما فوق سمو الاسكندر ؟ وما اعظم تلك النفس التي لم تكترث لذلك الفاتح وقرنيه وامجاده وطبوله وجيوشه الجرارة ! لقد كان ديوجينيس في عريه على العشب اعظم في ذلك الموقف التاريخي من ابن فيليب وهو على عرشه وقد كسته امجاد الارض .. اجل اجل ، ان كلمة ديوجينيس تلك التي قالها هي اشد مضاء في التاريخ من سيف الاسكندر .. واتفق لديوجينيس انه كان يسير يوماً في الطريق وبيده قصعة لشرب الماء فالتفت فرأى ولداً يشرب الماء من يديه وقد جوفهما فحطم لساعته القصعة التي كان يحملها وراح يشرب الماء من قعر يديه .

وقيل انه قبض عليه القرصان يوماً وهو في احدى رحلاته وباعوه عبداً في كريت فلما سئل عن مهنته وعمله اجاب : أسوق الناس بعصا السيادة والامر . ثم قال لسائله مشيراً الى القورنثي كسينياد : بعني من هذا الرجل فهو في حاجة الى معلم . فلما اشتراه كسينياد قال له ديوجينيس : « اسهر جيداً على ان تعمل ما سآمرك به . » ومع ذلك عهد اليه كسينياد بتربية ولديه ولم يستطع الا ان يطري فيلسوفه العبقري الحكيم ...

واغرب الغرائب في ديوجينس برميله الذي كان يأوي اليه متدحرجاً على الصخور والاعشاب هازئاً بالارض ومن عليها ، محتقراً صغائر الدنيا وزخارفها ومصباحه الذي كان يضيئه في الظهيرة ويسير به في الشوارع مفتشاً عن رجل ، وهل أجمل واجرأ من ذلك المصباح الملحاح الذي ما ينفك يكد ويجد متنقلا بين السهول والبطاح يفتش عن رجله الجحجاح لا يكترث للكهرباء ولا تطفئه ارياح .

اريسطاطاليس

كان ديوجينيس سريع الجواب ذا ذهن حاد وثاب وكان له لسان قاطع جريء بلغ به اقصى الوقاحة فاذا اضفت الى ذلك ما روي عنه من الاقوال والنوادر الغريبة والطريقة الشاذة التي عاش بها ادركت سبب الشهرة العريضة التي نالها ... ويقال انه كتب عدة مؤلفات فيها من الحوار الشيء الكثير ولكن ما ذكر من عناوينها لا يؤمن بصحته ولا يركن اليه .

ما هو المذهب الذي كان يعتنقه ديوجينس ؟

هو مذهب المدرسة الفلسفية اليونانية المعروفة بمدرسة الكلبيين Cyniques وقد اسسها انتيشنه في القرن الرابع قبل المسيح آخذاً بتعاليم سقراط وحمل لواءها ديوجينس وكراتيس وزوجته واخوها . وخلاصة هذا المذهب ان العلم النظري لا معنى لوجوده فالعلم العملي هو وحده الذي يصح ان يؤمن به وهدف هذا العلم ان يسلح الانسان بالفضيلة التي تؤدي الى السعادة هي غاية

الحياة لا تنفصل عن الفضيلة والفضيلة هي الخير الوحيد كما ان الرذيلة هي الشر الوحيد ، والخير الوحيد الذي يمكن اقتناؤه هو ما ملكه الانسان بحيث يبقى لصاحبه ولا تستطيع اية قوة ان تنزعه من اليد وهو النشاط العقلي والروحي وما خرج عن ذلك كالغنى والشرف والعار والموت انما هومن مقاليد القدر لا من مواليد البشر فما هو بالملك نقتنيه لانه ليس لنا، وان احط الامور واوفرها ضرراً واشدها فساداً في الدنيا هو التنعم واللذة وكان انتشينه يردد دائماً انه يؤثر ان يكون فريسة الجنون على ان تنشب فيه مخالب اللذات . اما العمل فهو خير يرجى لان الانسان يتعلم ان يسيطر به على نفسه ويملك عنانها ولذا كان الكلبيون يضعون انفسهم تحت حماية هرقل حاملين مثله الرداء وعصا من السنديان . والفضيلة قائمة بالحكمة التي تدلنا على ما تطلبه الطبيعة منا وهي لا تطلب الا ان نبقى كما نحن ، مستقلين عن اية سيادة خارجية وبعبارة اخرى الفضيلة هي قبل كل شيء السعي الحازم المستقيم في سبيل امتلاك الانسان فهي تكفي نفسها بنفسها . فالفاضل الحكيم يتجرد من الثروة اذا كان من اصحابها ولا يسعى وراءها اذا لم تكن في يده ويعيش عيشة المتسول ويشرب الماء من قعر يديه ويأكل الخبز الذي يعطاه ويكتفي بالبرميل مسكناً وبالخرقة المثقوبة لباساً ولا يقضي الا الحاجات الطبيعية التي لا غنى عنها ، بابسط الطرق واسهلها ولا يسلم بالزواج والعيلة والحياة العامة الاجتماعية لان ذلك من المزعجات وينكر العبودية لان الانسان لا يحتاج الى انسان آخر ليضبط نفسه ويبقى على حاله التي خلق لها ، وهو يحتقر رأى الناس فيه ويبقى على حاله التي خلق لها ، وهو يحتقر رأي الناس فيه ولا يلتفت اليه البتة وما يهمه ان ينعت بالجنون وهو يعرف نفسه عاقلاً وان من ينعته بالجنون هو المجنون .

سقراط

هل كان ديوجينس مخلصاً حقاً في تلك المظاهر التي كان يبرز بها امام الناس ؟

يقول الفيلسوف بلاتو انه كان في حركات ديوجينس كثير من الكبرياء والزهو والفخفخة والرغبة في ادهاش معاصريه وكان يدعوه سقراط الهذاء. غير انه لا يسع المنصف الا الاعتراف بعظمته الروحية التي كانت كامنة وراء ثيابه الرثة وبرميله ومصباحه ولسانه ومجونه وغرائب اطواره وقوة ارادته الفولاذية الخارقة التي ملك بها قياد نفسه فنسي جسده وروّض نفسه ما شاء واستطاع ان يتحرر من جميع القيود .

لقد اضحك الناس واخافهم وادهشهم ولذعهم بلسانه وعضهم ولكنهم كانوا يقفون منه اذا ما عادوا الى نفوسهم متأملين مفكرين مخلصين ، موقف الاكبار والاعجاب فان القورنثيين رفعوا له بعد موته عموداً تذكاريا يعلوه كلب من المرمر من باروس، وكذلك ابناء سينوب ، مسقط رأسه ، اقاموا له تمثالا ..

راجي الراعي

في حديث الشعر

بقلم الياس ابو شبكة

الشعر كائن حي تحتشد فيه الطبيعة والحياة فلا يقاس ولا يوزن ، والنظريات مذاهب واغراض لا تعيش الا على هامش الادب كما يعيش العرض على هامش الجوهر او كما يعيش الديكتاتور الزائل على هامش الامة الازلية • وقد تصح النظريات او المذاهب في كتاب سياسي او وصية سياسية موجهة الى شعب له اوضاعه الخاصة ، وحدوده المقررة ، وثقافته ، وجنسيته ، ولا تصح في شعر يعبر عن الحياة ، فالحياة لا جنسية لها ولا اوضاع ولا حدود ، وهي اوسع من ان نضع لها حدوداً ومقاييس ، والدائرة غير المحدودة لا تنحصر في الحدقة الضيقة •

ليس للفكر حد ولا تخوم فكيف نضع للحياة حداً وهي هدف الفكر ؟ كيف نحدد هـذه القوة المتحولة في اللانهاية ، هذه القوة المجهولة ؟ •

ورب قائل ان الانسان دائم الشوق الى معرفة المجهول • وهذا صحيح • على ان الشوق الى معرفة المجهول لا يلازم العقل البشري الا عندما يقتنع الانسان بان ادراكه الحسي للعالم الخارجي لا يكشف له حقايق الاشياء التي يراها ويلمسها ،ويضطر الى الاعتراف بان ادراكاته الذاتية ليست سوى تأثيرات لسبب خارجي يجهل حقيقته • ولكن الجاهل لا تمر في خاطره ايةشبهة بشهادة حواسه الذاتية ويعتقد كل الاعتقاد ان الاشياء التي يراها ويلمسها هي الحقائق بعينها • ولا يمكن تحويله عن هذا الاعتقاد لان نظريته في مبحث المعرفة تمثل احط دركة من المادية التافهة • ولانه يصر على ادراكه ما لا يدرك — بل يحس — على ادراكه الحقيقة المطلقة ورؤيته اياها من وراء المظهر المتحول في الحياة •

كيف نستطيع ادراك ما لا يدرك بل يحس لنقيده في دائرة ضيقة من اصطلاحاتنا البيانية ثم نوزعه مذاهب وطبقات هي سياسة الشعر لا طبيعته ؟ أليس من الخرق ان نحاول بلغة وضعية تحديد لغة المجاز والكناية ، لغة الروح ، لغة الحس الوجداني العميق ؟ •

وقد يعمد بعض هواة النظريات الى تحديد الشعر بالطريقة الفلسفية • وفي هذا دليل على شك اولئك الهواة في الشعر نفسه : في جوهر الحياة • فالمرء لا يلازم جانب التفلسف الا عندما يخالجه الشك ، مزعزع الاعتقاد بمطابقة المدارك الحسية لحقيقة الاشياء المدركة • وهذا الشك الفلسفي ينم في حد ذاته على الاعتراف بعجز الوسائل العلمية وقصورها • وهذا الاعتراف يرغمنا في نهاية الامر على التسليم باننا لن نتمكن من معرفة حقائق الاشياء بوسائلنا المحدودة ، وان ضعف وسائلنا ناجم عن طبيعة تكويننا الناقص • • وعندئذ يصبح المجهول في نظرنا السر الغامض اي الحدّ الاخير يقف الذي عنده الذكاء البشري •

هذا هو الشوط الذي تجتازه الفكرة الفلسفية عندما تصدر عن الشك لتخلص الى الشوق لمعرفة المجهول • واذا اضفنا الى هذه البينات التأثير المخيب لتقلب الحياة في هذا العالم ندرك في الحال انه من العبث والجهل الضائع التشبث في البحث عن الحقيقة المطلقة الثابتة وراء مظهر الوجود المتقلب ، وعندئذ يغمرنا هذا الادراك بكـآبة عميقة فنفهم السبب الحقيقي لذلك التشاؤم العميق الذي يستولي عادة على الشعراء •

اذن ثمة حقيقة غامضة من العبث البحث عنها لتحديدها ، هي الوحي • واذا كان الوحي حالة من حالات النفس عند تأثرهـا المباشر بقدرة خارقة وشئنا ان ننكر هذه الحالة انكرنا جوهر النفس ذاته — انكرنا مبدأ الحياة • واية غضاضة على الشاعر ان يكون وسيطاً لهذه القدرة الخارقة ؟ فالانبياء كانوا يتسقطون كلام الله • والقدرة الخـارقة ليست منفصلة عن الانـسان ، فهي جوهر نفسه • فاذا ارسل الشاعر نظره في معرض الطبيعة واجترت عيناه مشهداً من مشاهد هذا المعرض ثم خبره على نار هذا الجوهر فيكون قد اعطانا من نفسه ، والنفس هي المصهر الداخلي الخفي لكل ما يحيط بالانسان • فاذا كانت النفس مفطورة على الصفاء وتهيأت لها العوامل الثقافية المكملة تنقي الشعور من ادرانه وتقوم بهذا العمل من تلقائها فلا تكلفنا اجهاداً ولا تعملاً • •

قلت ان القدرة الخارقة ليست منفصلة عن الانسان فهي جوهر نفسه ، فعلى هذا الجوهر تنصهر المرئيات وتشترك في هذا العمل جميع الحواس • اذن فالقدرة الخارقة التي يتأثر بها الشاعر هي نفسه ، والنفس قوة لم يدرك كنهها لتحد ، فكيف ننفي الوحي الشعري ما دامت

النفس مصهر الشعور ؟ ٠

وانه لمن الخطل القول بان الشاعر من يستطيع النظم ساعة يشاء وليس الشاعر وقفاً للمصادفة ٠ كأني بهذا القول يريد ان ينزل الشاعر منزلة النجار او الحداد ، يقبل على عمله ساعة يحين موعد العمل او ساعة يريد العمل ٠ وهذا ابعد حدود الخطل وامتهان فاضح لجوهر الشعر ٠ واين هو هذا الشاعر الذي يصطنع العاطفة اصطناعاً ليعطيك كل ساعة انتاجاً كالنجار يعطيك الخزانة في الوقت المتفق عليه ؟ اين هو هذا الشاعر الذي لا يتأثر بما حوله ومن حوله ، فلا هجر حبيب يؤثر فيه فيحرك شعوره ، ولا موت صديق او صديقة ، ولا نكبة عزيز ولا كارثة امة ولا فرح شعب ، لا الظفر ولا الانكسار ، لا الذل ولا الكرامة ، لا ربيع الطبيعة ولا شتاؤها ، لا صيفها ولا خريفها ؟ ٠

واية غضاضة على قريحة الشاعر اذا هي مرت بساعات خدر ؟ افيكون الشاعر ملتزم اشغال في يده مقياس الزمن لانجاز عمله ؟ الا يتفق للقريحة ان تمر في ساعات خدر فلا ترى ما تراه في ساعات اليقظة الروحية ، ولا تحس ما تحسه في ساعات التأثر والانفعال ؟ والا ففيم لا يترك الشعراء من الروائع الا ثلاثاً او اربعاً لا تسلخ من العمر الا قليلاً ؟ ٠

قال المسعودي : « ان الوحي يتولد على صفاء المزاج الطبيعي وقوة مادة النور في النفس » ولم يقل ما قاله العرب القدماء من ان الوحي يلقن من فم شيطان وان الشياطين تسترق السمع وتلقيه على الالسنة ٠ واضرب مثلاً على ذلك هذا الغدير الصافي لا تشقى العين في رؤية السماء وغيومها وسحبها ونجومها ماثلة في قعره كأن هذه السماء ، وما عليها هاتف في اعماق نفس الغدير ٠ وللطبيعة الحكم المطلق في تصريف النفس البشرية واثرها الكامل في الحس ، وليس في المبرؤات النفسية والجسدية ما لا تحكمه الطبيعة ٠ وفي الطبيعة اسرار لطيفة لا يدركها الحس مهما دق بل يشعر بها اذا قويت النفس ، والنفس مهما قويت لا تستطيع قهر الطبيعة لاقتناص سرها اللطيف الا اذا تجردت من ادران هذا العالم ٠ وهذا مستحيل ٠ فاذا تجردت النفس من هذه الادران بلغت النسبة النورانية الكاملة ، بلغت مستوى الطبيعة ، بلغت ذات الله ٠ والنفس النقية هي الله ٠ على ان للنفس هنيهات تصفو فيها فينعكس عليها من الطبيعة جمال محجوب ، وهذا الجمال يهتف في النفس اسراراً تنطق لسان الشاعر الثقيف بمعان شريفة ٠ وعبثاً نحاول معرفة هذه الاسرار فهي من الغموض واللطف بحيث تدق على ادق حس ، ويكفي ان نسمع من هذه الاسرار ما ينطق ألسنتنا ويفتح اذهاننا لمشاهد نراها بأم العين ٠

ورب قائل انه لا حاجة لفهم معنى الشعر فالسحر المنبعث عن موسيقاه يؤثر في النفس تأثيراً مباشراً ٠ وربما اراد هذا القائل بقوله هذا ان يعبر عن تأثر النفس بانعكاس الجمال المحجوب في الطبيعة عليها ، ويظهر ان هذا الجمال الغامض انما هو موسيقى الطبيعة تعزف على اوتار النفس معزوفات غامضة من نوع هذا الجمال ٠ غير ان هذا وان يكن حقيقياً لا ينبغي جعله اساساً للشعر ، فالموسيقى هي عنصر من الشعر لا كله ، وهذا العنصر غامض ككل شيء يسمع ولا يرى ، ومن الخرق الفاضح ان نكتفي من الشعر بموسيقاه ونقدم فيه وصف ما لا يوصف على سائر عناصره ، فللشعر عناصر متساوية يجب ان تجري كلها في حلبة واحدة فلا تنحط الفكرة عن الموسيقى او الصورة عن الفكرة ٠

ولا بد هنا من القول ان الشعر يرافق جميع وجوه التفكير ، فالشاعر قد يطرق باب الفلسفة ولا ينحط عن الشعر ، بشرط ان لا يقتحم الفلسفة اقتحاماً فيناقش فيها كالمعلم العالم بل ان يلزم المزاج الفني فيلمع الى الفكرة التي تبدو له بتعبير يستخدم فيه جميع انواع المجازات والاستعارة والرموز بحيث يحدث التأثير النفساني المنشود ٠ وقد يطرق ايضاً باب الزراعة ولا ينحط عن الشعر بشرط ان يهتدي السبيل الى اكتشاف كنوز الطبيعة والحياة ، فالطبيعة هي قيثارة الشاعر ، وعبثاً يحاول الشاعر البحث عن اوتاره في غير هذه القيثارة ٠ والشاعر الحقيقي هو تاريخ عصره ملحناً ، فلولا الشعر ما عرف تاريخ العرب في الجاهلية ٠ ولولاه ما عرف تاريخ الفروسية والكرامات في الرومان ، ولولاه ما عرف تاريخ الاغريق ٠

منذ اليوم الذي تأزمت فيه المشادة بين ادباء الغرب وطلعت وحوش النظريات من اوجارها يكشر بعضها في وجه بعض ، التوى الشعر عن قصده واصبح زياً يتلون بتلون الاهواء ٠ ولكن النفس لا تخطىء ٠ لانها معكس ومصهر لحقايق ابدية هي الطبيعة والحياة ، ففيما المدارس الشعرية منصرفة الى التطاحن اذا بطائفة من مبدعي هذه المدارس ترتفع عن الغرضيات الزائلة الى المصدر الابدي ٠ فالمدارس الشعرية سجون ونظرياتها قيود ، والشاعر لا يعيش في جو العبودية هذا ، فالطبيعة هي جوه الفسيح تتكيف احساساته بتكيف المظاهر المتقلبة فيه ، واذا خرج الشاعر من هذا الجو خرج من نفسه وكذب على نفسه ٠

الياس ابو شبكة

ذكرى مولد شكسبير

وليم شكسبير

احتفلت انكلترا في هذه السنة كمألوف عادتها في كل سنة بذكرى مولد شاعرها العظيم وليم شكسبير اكبر مؤلف مسرحي عرفه الانكليز .

كانت مدينة ستراتفورد، مسقط رأس الشاعر، تغص بالزائرين من جميع انحاء انكلترا ، ولم يقتصر هؤلاء على رجال الفن وسائر طلاب الغذاء الروحي بل امتلأت الفنادق بجميع طبقات الناس في هذا الصيف الثالث للحرب ومثلت في مسرح « ميموريال » ثماني مسرحيات شكسبيرية في ست ليال وصبيحتين .

ومما يستحق الذكر ان ستراتفورد كانت تغص بالعرسان الجدد الذين حلا لهم ان يصرفوا شهر العسل في مسقط رأس شكسبير

الذي سمّى مدينته « عش الحب » . وبديهي انه عندمـا تنتهي الحرب تصبح ستراتفورد مركزاً عظيماً من مراكز السياحة .

اما المسرحيات التي اختيرت لمهرجان هذه السنة فكانت من اشهر ما ولدته عبقرية شكسبير ، وقد قام بتمثيل ادوار ابطالها الفتيان رهط من الممثلين الشيوخ لان الممثلين الشبان في الجبهة .

وكانت العادة ان يعمد في هذه المناسبة الى اخراج طائفة غير مشهورة من مسرحيات شكسبير وفقاً لرغبة رجال الفن . واذ لم يكن مفيض للشك في ان معظم الجمهور سيتألف هذه السنة من جنود ونساء من المصالح الاضافية ومن عمّال المناطق الصناعية في الميدالندفقد رؤي من الحكمة ان يقع الاختيار على المسرحيات المعروفة . لذلك مثلت « هملت ومكبث » و«حلم ليلة في منتصف الصيف » و « كما يحلو لك » و« تاجر البندقية» و « العاصفة » .

هملت ـ استعار سكسبير موضوع مسرحيته هذهمن اسطورة اوردها ساكسو غراماتيكوس . وتلخص هـذه الاسطورة في ان هملت يرى خيال والده ملك الدانمرك فيخبره ان شقيقه كلوديوس دسّ له السم بالاتفاق مع زوجته واختلس منه التاج وزوجته معاً . ويطلب منه ان ينتقم على ان لا يسيء الى امه . فيتصنع هملت الجنون امام عمه المختلس وامه وامام اوفيليا التي يحبها . وفي نهاية الامر يشير هملت الى بعض الممثلين ان يخرجوا امام عمه وامه والبلاط مسرحية تمثل مقتل والده . فتنجح التجربة اذ يظهر الاضطراب الشديـد على سيماء الملك الجديد وزوجته ، وعندئذ تصح عزيمة هملت على قتل عمه . وفي احد الايام يفاجيء والد اوفيليا وراء ستارة ظناً منه انه عمه ويطعنه بالسيف فيقتله . ولا يعتم الامر ان تجنّ اوفيليا من شدة الحزن على والدها وعلى حبيبها الذي فقد عقله ونفي الى انكلترا ولا تلبث ان تغرق في نهر وهي تقطف ازهاراً . ويهرب هملت من انكلترا فيطلبه شقيق اوفيليا للبراز ويطعنـه بشفرة سقاها الملك سماً . واذ يقف هملت على هذه النذالة يهوي على شقيق حبيبته فيقتله وعلى عمه فيرديه بطعنة نجلاء . وتشرب الملكة قدحاً صبّ فيه شراب سام لهملت فتموت .

المنزل الذي ولد فيه شكسبير بمدينة ستراتفورد

حلم ليلة في منتصف الصيف ــ كتب شكسبير هذه المسرحية في العام ١٥٩٤ . وهي « حلم » طافح بالظرف والشعر ولكن يصعب تحليله . . يقع الحادث باثينا في اثناء زواج الدوق تيزه والفارسة هيبوليت . وهو خليط معقّد من الغراميات يحل ليلاً في غابة احلام يقطنها رهط من الجن . وفي هذه الغابة السحرية تلتقي هرميا وليزاندر وكل منهما يحب الآخر . ويلتقي ديمتريوس بهرميا التي يحبها وهلينا بديمتريوس التي تحبه ولا يحبها . وفي هذه الغابة ايضاً يتخاصم الملك اوبيرن والملكة تيتانيا بسبب حاجب صغير يريده اوبيرن ولا تريد تيتانيا التخلي عنه . ولكي يسعد اوبيرون هلينا ويعاقب تيتانيا يعهد الى رسوله بوك ان يسكب في اعين المحبيـن النائمين وعلى عيني الملكة عصير زهرة عجيبة توقظ الى الحب اول شخص تصادفه . وكانت هلينا اول امرأة ستقع عليها عينا ديمتريوس . ولكن بوك يخطيء . واذا بليزاندر يحب هلينا وتواصل هلينا حبها

لديمتريوس . وتقع تيتانيا في حب ابله من الحياكين في اثينـا . ولا يعتم الامر ان يسوى كل شيء . فتعود تيتانيا الى اوبيرون ، وليزاندر الى هرميا .

العاصفة — تلخص هذه المسرحيـة السحرية في ان انطونيو يطرد اخاه بروسبيرو ، دوق ميلانو ، من ولاياته ، ويساعده في ذلك الونزو ، ملك نابولي . فيهيم بروسبيرو وابنته ميراندا على نفسهما في جزيرة قفراء ، ولا يعتم الامر ان يتمكن بالعلوم السحرية التي كان يجيدها من استدراج الارواح الى خدمته وبينها اريال ، وهو روح الاثير اللطيف ، وكاليبان وهو روح الارض الثقيل . وبأمر من بروسبيرو ينفخ اريال في الجو فتهب عاصفة هائلة تقذف الى الجزيرة الونزو وافـراد حاشيته العائدين من تونس . ولكي ينتقم الدوق بروسبيرو يوقع اعـداءه في جملة تجارب ويحبط المؤامرة التي دبرها شقيقه انطونيـو وسيباستيان ، شقيق ملك نابولي ، ضد هـذا الاخـير ، ويحملها عـلى التكفير ويبارك زواج فردينان ، ابن الملك ، من ابنته ميراندا . ثم يغفر لجميع من اساء اليه ويعود الى ولاياته .

تاجر البندقية — تلخص هذه المسرحية التي تدرج في عـداد روائع شكسبير ، في ان شيلوخ يكتسب بأساليبه في الربا حقد التاجر انطونيو . ويحتاج باسانيو ، صديق هذا الاخير ، الى ثلاثة آلاف دوكا ليتمكن من طلب يد وارثة غنية تدعى بورثيا رآهـا قبلاً في بلمونت فيذهب انطونيو الى شيلوخ ويطلب منه المبلغ ، فيتظاهر شيلوخ بالرأفة وينقده اياه بدون فائدة ولكن بشرط ان يتعهد له ، اذا لم يرجع المال في الوقت المعين ، بان يعطيه أوقية من لحمه . فيقبل انطونيو ويمضي باسانيو بالمال . على ان بورثيا لم تكن ولية امرها . وكان والدها قد صنع ثلاثة صناديق احدهـا من الذهب والاخر من الفضة والثالث من الرصاص ، ووضع في احدها صورة ابنته وأوجب على ابنتـه ان تقترن بالطالب الذي يعرف مكان الصورة . واذ يخرج باسانيو من هذه التجربة ظافراً تعطيه بورثيا خاتم العهد . ويحين موعد ارجاع المال ، واذ لا يستطيع انطونيو تأديته يطالبه شيلوخ بتنفيذ تعهده ، فيوكل أنطونيو محامياً يعترف لشيلوخ بحق اخذه اوقية لحم من جسم انطونيو بشرط ان لا يهرق نقطة دم . فيقع شيلوخ في حيرة مرة تنتهي به الى الفشل . ولشدة فرح باسانيو يعطي المحامي خاتم بورثيا ، وهو الهدية الوحيدة التي يقبل المحامي ان يتناولها . واذ يعـود الى بلمـونت مـع انطونيو توبخـه بورثيا على اعطائه خاتمها لرجل مجهول ولكنها لا تلبث ان تغفر له هـذه الهفـوة ، لانها انقذت صديقه .

مسرح ميموريال بمدينة ستراتفورد

كما يحلو لك — استعار شكسبير موضوع هذه المسرحية من مسرحية « روزالند » للودج . وتلخص في ان الاميرة روزالنـد وهي ابنة شريف نفي الى غابات الاردين ، تترك بـلاط عمهـا فردريك ، مختلس العرش ، برفقة نسيبتها سليا ، وتذهب الى ابيها متنكرة بثياب رجل . ولا يعتم الامر حتى يلحق بها عشيقهـا اورلندو . ثم يتزوج العـاشقان ويسترجـع الدوق عرشه الشرعي .

استعطاف

◆

ما اجدر العتب بان ينجلي ... ويضحك الحب بعينيك لي
يانعمة النفس كفتْ نعمةً ... ان أسأل الشيء وان تبخلي
هل كان قبلي ظامىء يرتوي ... باللفتة العجلى الى الجدول ؟
عاودتُ فيك النفس عذرية ... وذقتِ من طيب الهوى الاول
طال تشاكينا الهوى مثلما ... طال تشاكي الورد والبلبل

*

وكنت والصبح على موعد ... فاقبل الصبح ولم تقبلي
الله من ظلم الضياء الذي ... زج الدجى في قلبي المقفل !
تهت الى الروض فلم يلقني ... الا بوجه الشجر المعول
وروعتني شهقات الاسى ... تحز في حنجرة البلبل !.

طرطوس — رئيف خوري

الاستاذ روحي

بقلم محمد حاج حسين

استاذ الادب العربي في تجهيز اللاذقية

◆

رف الغروب على مدينة اللاذقية ، وهبت نسائم وانية تداعب الوجوه بلدعتها القارسة ، فالشتاء على الابواب ، والخريف الضحيان يلملم اذياله ، ويسحب كآبته الرانية على النفوس .

وشعرت بانقباض ، وكربت نفسي ، من العتمة التي اوشكت ان تدجي الكون .. وانحدرت اوفض في سيري نحو منزلي ، لأجد الراحة من كدح النهار .

وفجأة رنّ صوت في اذني ، لم يلبث طويلا حتى اتضحت نبراته ، فخفق قلبي بشدة وتراكضت انفاسي مبهورة ، واسرعت نحو مصدر الصوت ، اضم صديقي الاستاذ روحي ..

وهتفت : يا للسعادة انت هنا ...

فأجاب بصوته الفاتن : كنت افتش عنك .. حتى التقيت بك صدفة .

وطرت على سبح من الاحلام المجنحة، وراودتني الايام الغابرة، في الجامعة ، حيث وثقتنا الغربة الكزة ، ووشجت بيننا ألفة روحية ، جعلتنا روحا واحدة تخفق في جسدين متباينين . وخطفت الذكريات تترى ، كلها حبيبة الوقع ، شيقة الأثر ..

واستطعت اقول بلهجة مؤثرة : منذ ثلاث سنوات لم ارك يا روحي ، وكلما حاولت الاتصال بك ، دفعتني الاقدار ، وارسلت لك رسالتين ولم اتلق أي جواب ، وكلما سئلت عنك قيل لي انك في القرية ، تساير الفلاحين وتعاطيهم الحب والعطف ، هجرت المدينة والعمل ، وكل شيء ، لتنيء الى قريتك ، تعمل في الارض كالفلاحين ، فاجاب : هذا الصحيح .

— والدراسة التي عملناهابصبر وسهر الليالي، في تقلية الكتب، كلها تداعت .

— ان اللذة التي اجتنيتها في قريتي لا تعادلها لذة ، والارض بحاجة الى العمل الدائب والجهد العسير .

وخيم صمت شامل ، في خلاله تأبطت ذراع صديقي روحي ، واتجهنا نحو المنزل .. وتركت نفسي ، تسترسل في غابرها ، وجناه اليانع ، يوم كان روحي ، الانسة التي تموج فيها ...

وادركنا الليل بعتمته الداجية ، ونحن جلوس ، نتجاذب شتى الاحاديث ، ونهيم في كل واد . اصغي بجوارحي الى حديثه المستفيض ، متنعما قريراً ...

وقال روحي : اتدري لم جئت اليك ؟

— كلا !.

— لتحضر زواجي ، وسأستأنف حياة جديدة تفيض بالعمل المثمر . سأودّع القرية واصدقائي الفلاحين .

واطرقت هنيهة ، وقد تجلت على وجهي سمات الاستغراب لفكرته . فأنا اعلم ان صريعته الزواج معهودة ، فهو ثائر ، ينزع نحو الفوضى ويمج كل قيد .

واستتلى : تستغرب لفعلتي هذه ...

واخذ ينكت الارض بعصا قصيرة، كانت تضطرب في يده.

وزفر مستطرداً : وسأتزوج من مطلقة .

وحملقت فيه مدهوشاً : روحي ... ماذا تقول ؟ ان العذارى يملأن الدنيا .

وقاطعني : الحب . الحب ...

وسكت ... واكتنهت ان مأساة تجثم في اعماقه ، وهو العاطفي الحساس المندفع مع عواطفه ، المنساق مع نزواته ...

وبعد فينة ، اخذ صوته يعلو ، في نبرات رزينة : انت تعلم اني كنت في فجر حياتي ، عندما انهيت دراستي العالية ، وكان المستقبل البسام ينتظرني ، غير ان ريح الرخاء التي هبّت بادىء ذي بدء ، ما عتمت ان تحولت الى سموم لافحة .. عانيت مضض الحب ، وشجوه الوجيع . ووأدت نفسي ثلاث سنوات في القرية ، اعاني ما اعاني ...

وجذب سيكارة واشعلها ، ودفع اليّ اخرى ، وأخذ الدخان ينعقد في سحب تتلبد في الحجرة المغلقة النوافذ ...

وقلت : لماذا لم تتابع وظيفتك يا روحي ؟ أمضيت بها شهراً

واستقلت منها ، ولم يدر احد السر .

— السر الذي سمّم حياتي ، واحالها الى فحمة . . . كان ذلك يا صديقي في الخريف ، عندما عينت استاذاً للأدب في المدرسة الثانوية ، واستغرب التلامذة ، لاول وهلة ، مجيء استاذ يلقنهم العلم والثقافة ، وهو في مثل سنهم ، في سحرة الشباب ، لم يبلغ الثانية والعشرين . . . ولم تمض ردحة قصيرة ، حتى استحال دهشهم الى تقدير واعجاب وحب ، فقد رأوا في احاديثي الصدى لما كان يضطرب في افئدتهم الظميئة الى النور والجمال ، ينضر حياتهم ، ويجمل الوجود امامهم .

افرغت في قلوبهم المتطلعة ثقافتي وتجاربي ، وحبوتهم بعطفي وحبي ، واخلصت في سبيل تعبيد الطرق امامهم ، ليخرجوا الى الدنيا ممتلئين حكمة ومعرفة . . .

وكنت احثهم على العمل والمطالعة والتزود من الكتب ، التي احرق اصحابها فيها ، صحائف انفسهم ، واجزاء روحهم . . وانى لاذكر ان الحديث الاول الذي كنت اكرره فيما بعد ، كان يدور على الفائدة التي ينالونها اذا اعتمدوا على عملهم الخاص واستشهدت لهم ، بحديث نير ، للكاتب العبقري برنارد شو ، حيث قال مرة ان اساتذة المدارس لا يفيدون شيئاً . . ولا يحشون الاذهان الا بالسخافات . ولم ينقذه من السخافة ، الا افلاته منهم . فان عقله نجا من الخطل ، وعصم من الزلل ، لابتعاده عنهم . بمثل هذا كنت احثهم مخلصاً على العمل والقراءة ، ليكون لنا الشباب الريان في المستقبل .

ونفض رماد سيجارته . وعصر جبهته ، كأنه يتذكر . . ووامضت عيناه . . . وارتفع صوته يقول : الى ان حدث ما قسرني على تركهم . . لم يكن بوسعي ، ان افعل غير هذا . . . أتعلم . . اني احببت . . ذلك الغرام الجارف اكتسحني ، واستبد بي ، فعنوت لهصاغراً واستعصى علي الداء ، وعزّني الدواء . . . فلزمتني الحسرات وكوتني العبرات . . .

وصمت . . . وقد علقت عيناه برؤى بعيدة . . .

وتابع : كان ذلك اليوم لماحاً في ذهني ، لن يبرحه ما حييت ، عندما دخلت المدرسة في صبيحة خريفية مشرقة ، تتوهج بكآبتها ، وقد اخذت اشجار الحديقة ، تتعرى متجردة من بردها القشب ، واوراقها تتساقط ذليلة في هبات النسيم . فتفتحت نفسي ، وسرت في عروقي نشوة غريبة ، كأن عوالم جديدة تأخذ مجراها نحوي .

وولجت صفي ، لاحدث تلامذتي ، واردت ان اسألهم عن دروسهم التي حفظوها ، لأرى بليغ استفادتهم . ومـا كنت لاعرف اسماءهم ، حتى هيأ تهم كانت تغيب عني ، فعندما ادخل عليهم ، اتناسى وجودي ، وألاشي احساسي في غيبوبة بعيدة . وقرأت عفواً ، في دفتر الدوام ، اسماً حوّل حياتي ، وبدّل نهجي : ناديت بصوت خفيض : هيام . .

وغلغلت نظراتي في الانسة الصغيرة التي انتصبت بحياء امامي ، وقد ارتدت فستاناً ازرق ، ذاهب الورود ، يتجلّى فيه جسدها النحيل ، وكأني لاول مرة ارى هذه الفتنة المرتسمة على وجه هيام ، الكاعب . وطفقت اصعد نظراتي فيها ، وبسرعة خفق قلبي ، وحلت في عيوني الالوان الجمّة التي برقت على محياها النضير . . كانت جمالا لا يتناهى ، وجاذبية تلحّ بعينيها وقد تقوست اهدابها ، ترسم ظلّاً مائجاً على خدها الرفيف ، وفمها القاني ، وقـد رقت شفتاها ، وترآتا ، كزنبقة ارجة تعطر الارجاء بعبيرها . .

وتكلمت هيام ، متلعثمة ، تتدحرج العبارات من فمهـا ، متقطعة ، بخجل شديد . . واذا اصخنا سمعنا الى بنت الفيلسوف ارسطو ، حين تقول ، ان اجمل شيء في العـذراء ، ذلك الخجل الطبعي الذي يورد وجنتيهـا ، علمت اية حلاوة سرمد كنت ارشف منها . . كانت اجفانها الوسنانة ، تضرب بشدة كلماصوبت اليها نظراتي الخاطفة . .

ولم تجاوب بجلاء ، فحاولت ان اعلق على كلامها ، فخانـني النطق ، وندت الالفاظ مني ، وشمست المعاني ، فحاولت ان اسد عجزي ، فتصنعت الغضب ، وقلت بلهجة مقنعة بالحزم : كان يجب ان تدرسي اكثر من هذا . .

ولم انبس بغير هذه الجملة التي ندمت عليها كثيراً ، فرأيت الدموع تندي مقلتيها ، وتنحدر برفق على وجنتيهـا المضرجتين ، وتجأر ببكاء ، قطع نياط قلبي ، وتراءت لي كتمثال ينبض بالحياة للجمال الحزين ، فحاولت عبثاً ان اهدىء من روعها ، وكم تمنيت لو استطيع ان ادفنها في طيات صدري ، واهفو باناملي على وجنتيها ، امسح الدموع النادية التي تتلألأ على وجهها المبلج .

وخرجت ذلك اليوم ، وعاصفة الحب تجتاحني . . لقـد احببتها ، وتمنيت ان تكون دوماً بقربي ، تزقني الحب ، واهمي عليها النشاوى . رغبت ان نندمج في كيان واحد ، وتلاحقت ايام بطيئة ، ثقيلة ، في خلالها تغيرت سيرتي في الحياة ، وبهت لوني ، وبدا على جبهتي بعض الغضون من سهري المتراصل . . فانا اخشاها ، ارهب نيرانها المتقدة ان تحرقني ، اراها تضطرب في وجودي .

كل يوم، كنور يلمع في ظلمة طاخية .. واشعر كل لحظة، بتجدد الحب في كياني يزهو وينمو ويغزر ..

كيف الخلاص من هذه الورطة ؟ .. فلا اجد الحل الموفق والعلاج الشافي . عولت على مكاشفتها بحبي الطاغي، وماذا يضيرها حبي ؟ فانا ابغيها نبيلة، لتأسيس عائلة مشتركة، للزواج الذي كنت فيما مضى اتقزز منه ..

ولكنى، في كل مرة، ارهبها واخشاها . اصغي الى حديثها، والتهم كلماتها، ولكن ارادتي تخونني، وعزمتي تموت .. ويتلاشى كل شيء .. لأوب الى داري محطم القوى، يهوم علي الكرى في آخر الليل، ولا استجيب له، فلا اريد ان اذود صورتها الشعيفة عني ابداً ..

كانت حياتي على هـذا النمط جحيما لا يطاق، ويكاد ان يضحي ظلي، وخصوصاً اني لا ادري كنه عاطفتها نحوي، أتجاذبني ام تطغى عليها كراهية نحوي ؟ فلا اجد الجواب الموفق لهذه الازمة التي تهيمن على بوزرها .

واخيراً اطمأنت نفسي بعض الشيء الى فكرة «التليباتي» في علم النفس، تلك النظرية الزاعمة ان الارواح تتألف، وتنصهر في بوتقة واحدة، فاذا احب شخص آخر احس كلاهما بعاطفة واحدة، وهذا العزاء لم يدم طويلا حتى خاب ظني، وطاش سهمي، في احدى العشايا الذائبة، قالت لي رفيقة هيام في المدرسة قولة جهمت حياتي : انت تعطف كثيراً على هيام، ولقد حدثتني انها تكرهك ولا تستطيع ان تتصور رؤيتك ..

وفر الدم من وجهي، عقيب كلامها، ولجأت الى غرفتي، تتقاذفني لجج الهموم العاتية، ولما ذهبت الى المدرسة، ورأيتها، في مشيتها المغناج، تتكسر بفتنة اخاذة، عراني لون من الرثاء على شبابي الذبيل .

وحاولت ساعتئذ البكاء، فكان الدمع عصيا، لا يسعفني، كيلا ارفه بعض الشيء عني، ووقر في ذهني كراهيتها التي تضطرم بين جوانحها نحوي، فماجت امامي الصور الربداء ... وشعرت ان حياتي اصبحت فارغة تافهة، لا نضرة فيها ... ولأتخلص من الكابوس المزعج الذي يرنو علي، عولت على الهرب ... الى ارض قاصية لا تملأها هيام، بسحرها ورقتها .

وكان ان قدمت استقالتي بعد شهر من عملي . وحاول رؤسائي وتلامذتي ردعي، بكل وسيلة، ولكني خرجت لانساق الى قريتي الهاجعة في حضن الوادي، يكلأها الجبل الاشم، عساي اقر وانسى اوصابي، وادفن حبي الوليد .

وفي القرية، كانت هيام تبدو لي دائماً بوجهها الزاهي وجمالها الوهاب، وروحها السخية، الساكنة جسدها الخصيب : فاحاول ان اطرد عني طيفها الذي يعذبني، ولكنه اقوى مني، يطل ضاحكاً ومرة هازئاً لاوياً طرفه .

وكتبت لأهلي ليخبروا اصدقائي، اذا ما رغبوا في مقابلتي بالقرية، بانني لا اريد مقابلة انسان . وانصرفت الى اعمال مضنية في القرية، فرحت احرث الارض بيدي، واغرس الاشجار بعنايتي، واتشحت بلباس الفلاحين، واطلقت لحيتي، وشعر رأسي فكأني احد متصوفة القرون الخالية ...

فرضت على نفسي العمل الراهق، لاتلمس السلوى، ولم افز بشيء، فهيام تتراقص امامي، اراها في الخريف نغمة نائحة، وفي الشتاء دمعة منهمرة، وفي الربيع زهرة فواحة، وفي الصيف سنبلة خضراء .

مكثت ثلاث سنوات على حالتي هذه، وفي خلالها كنت المرشد الهادي للفلاحين، اعلمهم قواعد الصحة، وارشدهم الى الخير . فأحبوني ولعل احاديثهم الساذجة وسمرهم البريء، ونكاتهم الصافية كانت الملاذ الذي اعوذ به من الجحيم الذي يدمي حياتي .

وفي هـذا الصيف، شعرت بقواي تنهد، واعصابي المجهدة تتكسر، فعزمت على الهبوط الى المدينة، لأدخل المستشفى، امضي فيه بضعة ايام، اجدد قواي، لاستأنف عملي الجاهد .

ولما دخلت المستشفى، ووطئت بهوه، رأيت طيف هيام يتطلع اليّ، فخلت ان الخيال جسّم لي صورتها . ولكني لم البث طويلاً حتى بدت الحقيقة عارية، فكانت هيام بلحمها ودمها في في بهو المستشفى، تخطر بمشيتها البديعة، وتدل بقامتها الفخمة .

وعضضت على شفتي، فعل من يحاول ان يكتم صرخة توشك ان تفلت، فحيرتي لا حد لها، وبلبلتي عارمة .. أعندما أهبط لأعالج في المستشفى، يقع نظري عليها، لتزيد آلامي، وتنحر حياتي . وتقدمت نحوي بحياء ممض ومدت يدها تصافحني وقد احمرت حتى اطرافها، وقالت بلهجة منكسرة فيها خجل : كيف صحتك يا استاذ روحي ؟ واطرقت ... واستطعت ان اتخلص منها بيسر كيلا انغص حياتي، واترعها بالافاعي، ورقدت على سريري في المستشفى، يعالجني الطبيب، وصورة هيام تغمرني : ترى، ما جاء بها الى المستشفى ؟ وعذبتني هذه الفكرة، فسألت الطبيب، فأجابني انها كانت مريضة وجاءت تستشفي، وهي الان في دور النقاهة ..

وعانقتني الوساوس ، واخذت صحتي تنتكس : ولا اقـدر على ضمها ومحادثتها . ولاعتني الاشجان ، وضربت في اودية الحدس والتخمين ..

وعند الاصيل ، وقد هبت نسماته المسكرة ، جاءت اليّ الممرضة ، وقالت ان هيام تود مقابلتي . وكدت اقول : لا اريدها ، وكتمت نفرتي من رؤيتها ، وطلبت اليها ان تدخل ..

وجلست هيام على مقعد بازائي ، وانا ممّدد على السرير .. ومرت فترة صمت ، خيم فيها الهول ، واحسست اننا متقاربان بالروح في هذه اللحظة ، وتذكرت فجأة حديث رفيقتها ، فصعدت زفرة مكبوتة رغماً مني .. وقالت هيام : اتشكو وجعاً يا استاذ؟

— كلا .. صداع خفيف يزول ..

— لي قرابة شهر في المستشفى .. والصدف السعيدة شاءت ان اجتمع بك قبل مغادرتي ..

— اشكرك ..

وكان جوابي المقتضب ، دليلًا على رغبتي في انهاء المقابـلة ، لافئ الى آلامي ، فهيام تفعمني حياة ، وتدفع الدم حاراً ينزو في عروقي ، فخشيت ان انتفض ، واضمها الى صدري التواق الى صدرها الناهد ..

وقالت بعد هنيهة : ولم تركت المدرسة يا استاذ؟ .

وسؤالها هذا صفعة لسعتني : أأصارحها بالحقيقة ؟ أأقول لهـا انها السبب الذي حوّل حياتي ؟ أأحدثها عن حبها الذي عانقني ، ولازمني ؟ وحبست انفاسي المتراكضة ، ، وتجلدت مجاوباً : القرية بحاجة الى اخلاصي وعملي ..

— لم تحلق للقرية ؟ يا استاذ ، فبنيتك الضاوية لا تتحمل المشاق ..

— اتصارحينني ياهيام ؟ ما السبب الذي حدا بك الى كراهيتي ؟ .

وندمت على سؤالي ، فقذفته بحالة اللاوعي ..

وخطفت حمرة هفهافة على وجههـا الموشع بصفرة العاج ، واهتزت منفعلة واجابت : كلا لم اكرهك ... ابداً .. بالعكس

— زميلتك هند حدثتني بكراهيتك لي ..

وتغشت عينيها الصافيتين ، حمرة الغضب وقالت : انها كاذبة ، تختلق الاباطيل ، تريد ان تشوه سمعتي ، لانهـا تحسدني وتمقتني ، ويشهدالله ان عاطفتي نحوك ، كانت مشبوبـة العنفوان .. كنت احبك ، واصبو لتكون زوجي ، وعاطفتي ظلت دفينة ، لم اتفوه بها حتى الان .

ووثبت من فراشي كالمجنون ، واخذت يديها اداعبهما وادللها

واقول : هيام ماذا تقولين ؟ أتعلمين اني تركت المدرسة لاجلك ؟ فحبك سد علي المنافذ وحرمني المنـام ، وخلت انك تمقتينني ، فهجرت الدنيا الى القرية ..

— استاذ روحي ، لم يكن لي يد في عملي هذا .. ولو علمت بعاطفتك نحوي لترامبت على اقدامك ..

— لِمَ لم تخبرني بحبك لي ؟؟

— انت الاستاذ المثقف ، احجمت .. أتريد من الفتاة ان تنتقي عريسها ، ولربما صدّها من تختاره .. ان حياءها يمنعها ..

— كانت عباراتها متكسرة ، متنهدة .. فيها الالم الدفين والحب النائم .. ولمع ظل فرحة كبيرة في عيوني فقلت :

لنذرّ الماضي .. لنا الحاضر .. ماذا يمنعنا من الزواج ؟

ولمحت في عينيها لوناً من الاسى وهزت رأسها واجابت : أتتزوج من مطلقة ؟ ونفرت صائحاً : ماذا تقولين ؟

— في الصيف الماضي ، زوجني والدي رغماً مني ، من شاب ثري ، حاولت جهدي ان ادفع هذه الزيجة المقيتة ، واصرّ والدي بتهمني بالجنون ، وعدم معرفتي لمصلحتي .. كنت اعيش على حبك ، فهو زادي ومائي .. وانت قد طرت ، وليس لي ملجأ ، فأفضيت الى والدتي بعدم رغبتي في الزواج ، ولكن الفتاة الشرقيـة ، لا رأي لها .. فانسقت التخبط في زيجة كانت الكفن الذي فصّل لي . واصبحت حياتي مع زوجي لاتطاق .. ولا اريد ان اتذكرها الان .. وخلاصتها عذاب في عذاب .. فهو سكير .. يدمـن الخمر والميسر ، ويرتوي من اللهو الخليـع .. واخيراً بعد اربعة اشهر من زواجنا تمّ الطلاق ، الذي لم ار مناصاً منه ، لتقـر حياتي في هدأة ابتغيها .. ولو لم تنته حياتي معه ، لنحرت نفسي ..

وسكتت ، وقد رشحت جبهتها الملساء بالعرق ..

وقفزت من سريري ، لتلتقي شفاهنا بقبلة فيها الحنين واللوعة ..

وقلت بلهجة حازمة : سأتزوج منك يا هيام .. تهيأي يا حمامتي .. لتسجعي في وكرنا العائلي الهني ..

وصمت صديقي الاستاذ روحي ، وحدق فيّ .. طويلًا .. وكنت مرهف السمع .. وقال : الا تحضر زواجي القريب يا صديقي ؟ . فأجبت بالتأكيد ..

— اني اهيئ الاثاث الجديد لحياتي المقبلة ..

— وستكون حياة مليئة مخضلة ..

طرطوس — محمد حاج حسين

ليل

•

ينهمرُ البدرُ خلالَ الغصونْ
منابعُ شقراءُ فوقَ السديرْ
وفي مساري الحورِ والزيزفونْ
يدورُ والأنسامُ لحنُ الغديرْ

لا شيءَ في الليلِ يريقُ السكونْ
على زهورِ الحُلمِ المرهقةْ
لا شيءَ ، حتى الوحدة المفرقةْ
تنحلّ من حولي كظلٍ حنونْ

دعني أيا بدرُ... يذيبُ الخشوعْ
خيوطَك الصفرَ على مفرقي ،
تسبرُ عيناكَ حنايا الضلوعْ ..

دعني اسرّح في السوادِ الرغيدْ
روحي... اخافُ النورَ ان يستقي
منها ، فتستجدي الصياح البعيدْ...

دعني احسّ الليلَ ، هذا الحدينْ
ينيرُ في نفسي شموعَ الحنين...

العلويين — مصياف — كمال فوزي

الحب العذري

بقلم شفيق طبارة

الحب غريزة فطرية في الانسان وهو ايضاً في كل نبات وحيوان فلا غرو اذن ان يستوعب (ادب الحب) جانباً وافراً من آداب الامم وان يحرص الرواة على جمع اخبار المحبين وتدوينها . انما الغريب اختلاف الناس في الحب ففريق رأى فيه الشقاء فذمّه وعدّه مفتاح النقائص والسرور وفريق رأى فيه السعادة فمدحه وعده مفتاح العواطف الطيبة والفضائل القويمة .

واختلف الفلاسفة والعلماء في تعريفه وبيان ماهيته فمنهم من عرّفه بأنه مرض وسواسي يشبه (الماليخوليا) يسيطر على النفس من شدة استحسانها الصور الجميلة ومنهم من جعله قضاء من الله وقارنه بمرض (الزكام) يصاب به المرء على جبر واضطرار ولو خيّر لاختار السلامة وآثر النجاة . ومنهم من حسبه نوعاً من الجنون والجنون فنون . ومنهم من رده الى الغريزة الجنسية قائلاً انه ظمأ وجوع واستمتاع لا يستفيد منه المجتمع الا اذا انتهى الى الزواج والامومة وعرّفه ارسطو بانه اتفاق اخلاق وتشاكل صفات وشوق كل نفس الى مماثلها وذهب محمد بن حزم الى انه استحسان روحاني وامتزاج نفساني بين اجواء النفوس في اصل عنصرها الوضيع . وقائل : انه ائتلاف ارواح وتجانس في الطباع وانه كلما كثر التشابه زادت المودة وتأكدت واستشهد بما ورد في الحديث (الارواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) وذهب الباحثون في الحب الى ابعد من هذا الحد فاستقصوا مركزه . فمن قائل بانه في القلب وقائل بانه في الكبد وقال اهل الصبابة : يدخل سلطان الحب في الاحشاء من العينين كما قال الشاعر :

رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا فسام صبراً فأعيا نيله فقضى

وقال بشار بن برد : من الاذنين

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احياناً
قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

مجنون ليلى

واجمل مذاهب الحب عندي ان المحب مضطر غير مختار ، وان مركز الحب في النفس يتغلغل في سراديبها عن طريق الحواس وان عاطفة الحب تنوعت بتنوع العواطف البشرية فكل زمن وجنس وشعب جلب الى الحب طابعاً جديداً واضفى عليه لوناً خاصاً . على ان الحب بالرغم من كل ذلك ظل غريزة جنسية يلطف حدتها الخيال ويزينها الجمال وتفرّعت عن عاطفة الحب عواطف اخرى احدثت ابلغ الاثر في حياة الناس ، تفرّعت عنه عاطفة الحنان والتضحية والحياء والانانية والغيرة والعفة وعاطفة التسامي بالغريزة البهيمية والرغبة في كبحها والارادة الصادقة في الاتجاه بالحب نحو عالم انقى واطهر من هذا العالم . ولا ريب ان الحب بفروعه الرائعة قد ساعد الانسان على التحضر وساهم في تهذيب النفوس وحملها على نسيان اصله الحيواني الوضيع وتسامى الى الدرجة الروحية التي لا صلة لها بالبدن . وعلى هذا النحو اصبح للحب تاريخ . وتاريخه عند اسلافنا الاقدمين ينحصر في ثلاثة اشكال : الحب الذي سرت

فيه روح الفروسية ومثله الاعلى عنترة بن شداد العبسي فبعث القوة والاعتداد بالنفس والرجولة والانفة والحمية وجعل الشرف فوق الحب والذود عنه فوق الحياة ، والحب الطاهر النبيل تجلّى بين قيس المجنون وليلاه وكُثيّر وعزة وبين جميل وبثينة وهو مثل للوداد والوفاء والاخلاص والثبات . والحب الماجن المستهتر الممزوج باللهو والعبث والخلاعة والنزوة الجثمانية تمثل في عمر بن ابي ربيعة وبشار وامرىء القيس وابي نواس وصريع الغواني وامثالهم .

وانما يهمنا من اشكال الحب الثلاثة : الحب الطاهر النبيل لانه اسمى درجات الحب واعلاها وسمي عذرياً نسبة الى عـذرة بطن من قضاعه ، وقضاعه من القبائل اليمنية التي نزحت من اليمن بعد سيل العـرم فنزلت شمالي الجزيرة العربية الى بلاد الشام وقد اختص بنو عذره بين قبائل العرب بكثرة عشاقهم واشتهروا بانهم اعشق العرب وفاخروا بطهارة عشقهم وامتازوا على غيرهم باستسلامهم الى الحب واستسهالهم الموت في حال الصد والاعراض . وكان العذري يهيم بفتاة واحدة لا يعشق سواها فتصبح مثله الاعلى في المحاسن ويكتفي بها عن بقيـة افراد جنسهـا وسواء لديه ان صدت او هجرت وان تزوجت من غيره او ماتت وان هرمت او ادركها الكبر فان حبه لها لا يتغير ويهب لها كل شيء وان لم يفز منها باي شيء . وكان بنو عذرة يفتخرون بعشاقهم افتخار غيرهم بفرسانهم واجوادهم ويرون عشقهم مزية شرف ونبل ودليلاً على رقة القلب وصفاء النفس وطهارة الوجدان . وقد كان من جمال نساء بني عذرة باعث قوي على الحب لان الحب في الغالب يجري وراء الجمال كما ان الجمال يورث القلب رقة ، والنفس صفاء ، فتستهويها النظرة ، وتسترقها الابتسامة ، وكما اشتهرت عذرة بالحب الى حده الاقصى اشتهرت بالعفة ايضاً . روي عن سعيد بن عقبه العمداني انه قال لاعرابي حضر مجلسه : ممن الرجل ؟ قال : من قوم اذا عشقوا ماتوا .. فقال : انت من عذرة ورب الكعبة . ثم سأله عن علة ذلك فقال : لان في نسائنا صباحة وفي فتياتنا عفة . وما احسن قول بعض بني عـذرة وقد قال له بعض العرب : ما لاحدكم يموت عشقاً في هوى امرأة يألفها ؟ انما ذلك ضعف نفسي ورقة وحذر تجدونه فيكم يا بني عذرة . فقال : اما والله لو رأيتم الحواجب الزج فـوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى .

وفتن النـاس بالحب العذري ونظروا الى اهله نظرة العطف والحنان واعجبوا بصدقهم وعفتهم وحسبوا من الشهداء من مات في سبيله . ومما يروى في ذلك عن النبي « صلعم » انه قال : من عشق فعف مات شهيداً . وعن المهدي انه قال : اشتهي ان اصلي على جنازة عاشق مات في الحب . وكأن ابن منظور عنـاه عند ما عرّف الحب في لسان العرب بقـوله (الحب الوداد والعشق عجب المحب بمحبوبه او افراط الحب وسمي العاشق عاشقاً لانه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العشقة اذا قطعت والعشقة شجرة تخضر ثم تذبل ثم تدق) .

وهكذا كان الحب العذري محنة للنفس والروح يشقى بها المحب ويموت دون الوصول الى من يهوى ولكن هذا الشقاء كان عذباً شهياً الى نفوس العشاق «واحب شيء الى الانسان ما منعا » ومن الامثلة على ذلك ما قيل عن نصب الشاعر انه دخل على عبد العزيز بن مروان فقال عبد العزيز وقد طـال الحديث بينهما : هل عشقت قط يا نصيب ؟ قال نعم امة لبني مدلج دعجاء ممشوقة القد وجهها كالبدر وعيناها تنفثان الفتنة . قال فكنت تصنع ماذا ؟ قال نصيب : كان اهلها يحرسونها فكنت اقنع ان اراهـا في الطريق وفيها اقول :

وقفت لهـا كيما تمر لعلني ... اخالسها التسليم ان لم تسلم

RAFAT

ليلى

ولما رأتني والوشاة تحدرت مدامعها خوفاً ولم تتكلم
مساكين اهل العشق لست بشترى حياة جميع العاشقين بدرهم

فقال عبد العزيز : وماذا فعلت هـذه الجارية ؟ قال : بيعت وتزوجها سيدها . قال : فهل في نفسك منها شيء ؟ قال : نعم ذكريات واحزان وبقية من شجون . فقال عبد العزيز : هذا هو الحب العذري .

وحدث الاصمعي انه كان يسير ذات يوم في البادية فمر بحجر قد كتب عليه هذا البيت :

ايا معشر العشاق بالله خبروا اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتب تحته :

يداري هواه ثم يكتم سره ويصبر في كل الامور ويخضع

وعاد في اليوم الثاني فوجد مكتوباً :

وكيف يداري والهوى قاتل الفتى وفي كل يوم قلبه يتقطع

فكتب تحته :

اذا لم يجد صبراً لكتمان سره فليس له شيء سوى الموت ينفع

ثم عاد في اليوم الثالث فوجد شاباً ميتاً تحت ذلك الحجر وقد كتب عليه قبل موته :

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا سلاماً على من كان للوصل يمنع
هنيئاً لارباب البيوت بيوتهم من العاشق الولهان ما يتوجع

وحدث الجاحظ قال : كان محمد بن حبيب الطوسي جالساً مع ندمائه وقد اخذ الشراب برؤوسهم اذ غنت جارية له من وراء الستار :

يا قمر القصر متى تطلع اشقى وغيري بك يستمتع
ان كان ربي قد قضى كل ذا منك على رأسي فما اصنع

وعلى رأس محمد غلام على احسن ما يكون من الجمال وبيده قدح فوضع القدح من يده وقال : تصنعين مثل ذا — ورمى بنفسه من الدار الى دجلة — فلما رأت الجارية ذلك هتكت الستارة ورمت بنفسها على اثره فغرقا معاً . قال الجاحظ : فهجر محمد الشراب بعد ذلك شهراً .

وحدث الاصمعي انه بينما هو قائم في بعض مقابر البصرة اذ بجارية على قبر تندب :

بروحي فتى اوفى البرية كلها واقواهم في الحب صبراً على الحب

فقال لها : ياجارية بم كان اوفى البرية وبم كان اقواها ؟ قالت : انه ابن عمي هويني فهويته فكان ان باح عذلوه وان كتم لاموه فانشد بيتي شعر وما زال يكررهما الى ان مات والله لاندبنه حتى اصير مثله في قبر الى جانبه . فقال لها : ياجارية ما البيتان ؟ قالت :

يقولون لي ان بحت قد غرك الهوى وان لم ابح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرىء يهوى ويكتم امره من الحب الا ان يموت فيعذرا

ثم شهقت شهقة فارقت بها روحها الدنيا .

وحكي ان امة بثينة وشت بها الى ابيها واخيها وقالت لهما ان جميلاً عندها الليلة فاتيا ومعهما سيفان فرأياه جالساً بالقرب منها يشكو اليها غرامه ثم قال لها : يابثينة أرأيت ودّي اياك وشغفي بك ألا تجزينني عليه؟ قالت : بماذا . قال : بما يكون بين المتحابين فقالت له : ياجميل او هذا تبغي فقد كنت بعيداً منه ولئن عاودت تعريضاً بريبة لا رأيت وجهي ابداً . فضحك وقال لها : ماقلت لك هذا الا لاعلم ما عندك فيه ولو علمت انك تجيبينني اليه لعلمت انك تحبين غيري ولو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفي هذا . فقال ابوها لاخيها قم بنا فما ينبغي لنا بعد اليوم ان نمنع هذا الرجل من لقائها فانصرفا . .

وكما ان للحب العذري معجبين كذلك لم يعدم منكرين قد سخروا من اهله . فمن ذلك ما نقل عن ابي العبر ان مات له حمار . فسأله المتوكل ما الذي كانَ من شأن حمارك يا ابا معاذ فقال : كان يا امير المؤمنين أعقل من النـاس ليس له هفوة ولا زلة فاعتلّ على حين غفلة فمـات فرأيته في النوم فقلت له : أو لم انقّ لك الشعير وأبرّد لك الماء فما سبب موتك فقال : اتذكر اذ وقفت على باب الصيد لاني قلت : نعم قال : مرّت اذ ذاك اتان فافتتنت بهـا ومت . فقلت : وهل قلت شيا في ذلك . فقال نعم وانشد :

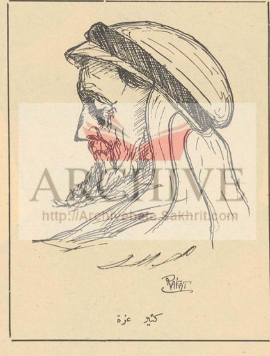
هام قلبي بأتـان عند باب الصيدلاني
تيمتني يوم رحنـا بثناياهـا الحسان
وبغنـج ودلال سلّ جسمي وبراني
ولهـا خد اسيل مثل خـد الشيقراني
فبها مت ولو عشت اذاً طـال هواني

فقال له : يا ابا معاذ وما الشيقراني ؟ قال : انا مشغول بما انا فيه من حزن عليه وهذا كلام تعرفه الحمير فاذا رأيتم حماراً او من

كان اولا حماراً فاسألوه ... فضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه .

وتروي لنا كتب الادب حوادث كثيرة من هذا النوع واني اقتصرت على هذه الطرائف لأعود الى القول ان الاغريق قد عرفوا الهوى العذري وسموه الحب الافلاطوني نسبة الى الفيلسوف افلاطون الذي احبّ حباً روحانياً ولم يتسفّل . ولا يختلف الحب الافلاطوني عن الهوى العذري الا بان الاول تتغلب فيه الارادة على العاطفة بينما الثاني تقف في سبيله عقبات خارجية كالتقاليد اوالفروق الاجتماعية الموروثة بين الطبقات . ولما نشأت المسيحية قدّست العاطفة ومجّدت البكارة وكرمت الطهر وجعلت العفةمثلها الاعلى في شخص العذراء واتخذت شعارها المحبة وفي كتابها « الله محبه » . ورأى رجال الدين المسلمون بالحب العذري لوناً من العبادة فأنشأ فريق منهم مذهب (الصوفية) من هذا الحب الذي ازدهر اول الامر في قلوب العاشقين الاطهار ثم تطوّر من الافعال الى الصفات وارتقى من الصفات الى الذات وتعلق بالمنعم لا بالنعمة وتطلع الى الحب الاعلى، الى حب الله . ومن كلامهم « شرط المحبة ان تكون ميلا بلا ميل وشرطاً بلا جزاء لئلا تزول عند زوال العرض ويظهر ذلك في احياء الله عزّ وجلّ والحبيب عندهم هو الله . وعندهم اذا علم الله صدق المحب في محبته رفع بينه وبينه حجاب وكشف لهعن الحقائق العلياواطلعه على الاسرار المحجوبة .

قال العلامة عماد الدين الاموي : علاقة المحب بالله انه اذا نزل به بلاء أو محنة لا يتغير ولا يضطرب فان كان كذلك فهو لله محب والا فهو كاذب على المحبة . وقال بعض المتصوفين اذا قال لك احد انا احبك فخذ علامته فاذا ثبت، صدق حبه، وان اضطرب وتغير، فاعلم انه كاذب . وقيل لبعض العارفين بالله : من أين أقبلت ؟ قال : من عند الحبيب . قيل له : والى اين تريد ؟ قال : الى قرب الحبيب . قيل له : وما تشتهي ؟ قال لقاء الحبيب . قيل له : وما قوتك ؟ قال ذكر الحبيب . قيل له : وما شرابك ؟ قال : الشوق الى الحبيب . قيل : وما تلبس؟ قال : ستر الحبيب . قيل له : فلِمَ اصفرّ وجهك ؟ قال : من فراق الحبيب . قيل له : حتى متى تقول الحبيب الحبيب ؟ قال : حتى ارى وجه الحبيب .



كثير عزة

ذلك هو الحب العذري الحب النبيل حب الاخيار الطاهرين الذين قدسوا العاطفة وعدّوا المرأة زنبقة من زنابق الفردوس ومالوا اليهابالروح لابالجسدوحده فاستنكروا الدعارة ونشدوا الثبات واستمسكوا بعرى الفضيلة والعفة وجعلوا الحب ضمن اطار خيالي خلعوا عليه الحلل الشعرية الجميلة . ومن انباء اهل هذا الحب في كتب الادب ما يملك المشاعر . انه لماثل منها في كل كلمة وسطر كما هو ماثل في كل قلب وصدر وغفر الله لاهل العشق ورحم قيساً حيث قال :

ولا خير في الدنيا اذا انت لم تزر حبيباً ولم يطرب اليك حبيب

شفيق طباره

كوخ جبلي

بقلم سهيل ادريس

•

كنت ضائقاً ببيروت ذرعاً • فقد كان حرهـا المذيب ينصب على الاجساد انصباباً ، فيحيلها لهباً محرقاً لا يجد الماء ولا الابتراد من سورته او شبوبه • وطالت بي الحيرة حتى كدت لا اجد متنفساً ، الى ان وردني كتاب من صديق لي عزيز ، يستزانى في مصيفه الجميل الهادى، « عارون » ابضعة ايام • فوقعت الدعوة من نفسي موقع الندى المطلول من اكمام الزهرة الحرى ، وداخلتني نشوة حملتني الى اجـواء من الغبطة والمرح ، وحبت نفسي ردحاً طويلاً • ولم يتقاعدني اي شغل عن الاسراع وكنت أحس — ما ابتعدت عن بيروت — نفحة البرد تسري في كياني • واستقبلني صديقي عزيز على خير ما يستقبل صديق صديقه ولم تكن نعمة الهواء الطلق ، والنسيم البـارد هي وحدها التي وافتني ، بل ان نعمة اوفر حظاً كانت مقرونة بها ، انما هي نعمة الصداقة الحلوة الغضة •• ولعمري ان ساعة تسلخ في كنف صديق صدوق ، لهي احب الي من اية ساعة تقضى في اي عمل آخر •••

أخذنا نزجي وقتنا ، حينـاً بالمطالعة ، وحيناً آخر بالنزهة والتفريج عن النفس ، ونتداول في كل ذلك مـا يلم بنا من فكر وتأملات ، ولا شك في ان الذي اوثق رباط المودة بين قلبينـا ، وعرى الصداقة بين روحينا ، انما هو هذا التفاهم المتبادل في الفكر ، والنظر ، والتأمل •

وكنا اغلب ما نقضي الوقت في المطالعة على شرفة يتجلى منها البحر • ولست اكتم احداً ان هذا البحر كان له اوفر النظر واكبر التأمل • وحقاًن للبحر معاني عظيمة الشأن هي صورة صادقة لـما يجري في الدنيا ولما يمور في الصدر • فما اضطرابه وجيشانه الا صورة الدنيا في اضطراب مجراها ، وما هدوء وسكينته الا رسم العيش الخضيل والنعمة الترفة التي يتقلب الاثرياء والاشراف على فراشها الوثير ، وما ترقرقه حين يلم به النسيم الا لوعـة الحب في سكون العزلة ، او ألم الفقر في ظلمة الكوخ ، وما اكثرها معاني ، تلك التي يوحيها البحر ، وتلك التي يستدعيها الزبد والموج • والكن ، ما شأن البحر في هذه القصة ؟

لولا ان تلك المعاني ذكريات وعتهـا تلك الايام ، لما ملأت هذه الاسطر ! • اقبل عزيز ذات يوم راغباً الي ان نقوم بنزهة في الجبل ، فقبلت من غير تردد ، وانطلقنا نعلوه بنشوة ومرح ، على الرغم من ان تسلقه انصب اجسـادنا •• ومع ذلك فلم نفتر عن السير •

ولاحظت ان صديقي يقودني بين غابات وادغال ، فعجبت لامره ، وكان — حـين احاول ان استفسره — يأمرني بالسير ، وطيف بسمة ، يتخايل على شفتيه •فلججت في السؤال عن وكده من كل ذلك ، فكان يجرني جراً وهو لا ينبس ، واخيراً اجتزأ بقوله : « سترى » •

ودلف بي الى غابات كثيفة تتوشح اغصانهـا وترسل ظلمة رهيبة ، وصديقي في كل ذلك يغذ السير ما ينصب ، حتى اذا اشرفنا على غاب صغير شرعت شفتا عزيز تفتران عن بسمة عريضة • واستأنفنا السير حتى بلغنا آخر الغاب •• ونظرت ، فاذا بكوخ صغير يقوم على سوق الشجر يشعر الوجدة والاعتزال ، وما كدنا ننتهي اليه حتى ألم بنا شبح غريب اثار حركة قوية تشبه هبوب ريح جفول تأخذ الشجر على حين غرة •• ولن اكتم ان مارأيت فجر الرعب من صدري تفجيراً •وحانت مني التفاتة الى عزيز ،فاذا هو مغرق في الضحك حتى يوشك ان ينقلب على قفاه •• وانا لم اجد الا ان ادعه يستكمل ضحكه ،وانطلق بين الشجر ابغي الفرار من ذلك المكان المخيف ، وزفقت في سيري ما اكاد اعي • وما راعني الا ان اسمع قهقهة صديقي يدنو مني ما ضاعفت عدوي • وكنت اخشى ان التفت الى ورائي ، واذا بعزيز يدركني بعد هنيهة ويقسرني على الجلوس وهو ما يزال يضحك •وبعد ان استعاد هدوء ورزانته التفت الي وقال :

— سأروي لك القصة !

— اية قصة ؟؟

— قصة الشبح الذي الم بنا منطلقاً من الكوخ في سرعة عظيمة ٠٠

— دعني ٠٠ دعني ٠٠ يا عزيز ، فوالله ان هذا الرعب وحده لقصة واكثر !! ٠

فارسل ضحكة طويلة ، ثم شرع يروي لي القصة دون ان يكترث لما قلت ٠

انه سعيد فرناس ٠٠ ولئن كان هذا الاسم نكرة لديك ، فهو اعرف المعارف عند سكان « عارون » وحسبك ان تذكرهذا الاسم لترى على وجوه آل فرناس مسحة الفخروالتعاظم والاستعلاء، ولكن لا تلبث مسحة اخرى — هي مسحة الحزن — ترين على وجوههم لما آل اليه سعيد فرناس من حال مخيف ٠٠

كان زعيم آل فرناس غير مدافع ، يفخرون به ويتخذونه سيدهم ومولاهم في كل مجلس ، واعجب ما كان يعجبهم منه ، احاديثه اللذة عن هجرته الطويلة الى العالم الجديد ٠ فكان يروي لهم قصصه الغريبة الشيقة ، وحوادثه الكثيرة ، وهم يزدادون به كلفاً ، ويجلونه ابلغ الاجلال ٠ وكان بينه وبين اعدائه مواقع كان فيها المنتصر لم يشق له غبار ، مما كان سبباً في استبعاث احترام اعدائه انفسهم واكبارهم اياه ٠

وكان ذات مساء يروي احدى قصصه الطريفة ، والقوم مرهفون آذانهم مما ينبسون ، اذ برجل عظيم الجثة ، عبل الذراعين يقترب منه ويهدد بقبضة يده ٠ وقليل هم الذين عرفوا فيه « امين الجبلي » الذي لم يهنأ قدر لحظة في حياته كلها اذ كان منغمساً بالجرائم يرتكبها ، والآثام يقترفها ، فيطارد من مكان الى آخر لا يستقر ساعة من زمن يستجم فيها ليفكر في امره فينيب مستغفراً اسفاً ٠

« تقدم امين من سعيد وادعى ان له قبله حقاً — وهو مال — اتى الان يسترجعه ، فأنكر سعيد عليه ذلك ، فألح امين الحاحاً منكراً ، وانشأ يتوعده ويتهدده بالقتل ألم يفه اياه ٠ فانتصب سعيد وقد اضطرب فيه شعور العزة والانفة يود ان يجبه امينا ، غير ان تلك الرفسة القوية التي قابله بها عدوه كانت كافية لان تطرحه ارضاً يكاد لا يعي من الالم والرهبة ٠٠ والقوم في كل هذا واجمون مشفقون ٠ وما لبث امين ان نظر الى عدوه نظرة متسخط حانق ، ثم لثأ القوم بعين حديدية قاسية وانعطف الى الوادي ٠

واضمر سعيد في نفسه انتقاماً مراً تتحدث به قرى لبنان جميعاً ، وازمع ان « يسحب روح امين » — كما كان يقول — ٠ ومما زاده عزماً تلك الاقاويل تتقوّل عن ضعفه ، وهذه الاراجيف تذاع عن وهنه وخوره ٠ وكان يعرف موقع الدار التي تزل فيها امين ٠٠ وآثر سعيد ان يقترف جريمته ليلاً ٠٠

وسار في ذلك الليل ، يحمل في وسطه خنجراً ، وفي يده هراوة ، يقصد دار عدوه المهين ٠٠ ولكنه كان يعجب احياناً ، لم كان شعور غريب مبهم يعروه الفينة بعد الفينة ٠٠ وكان يرجو ان يجدد فيه وقع الهراوة الغليظة روح العزم والاقدام ٠٠ ولكن ذلك الليل الصامت يرخي ذوائبه كثيفة صفيقة كان يبعث فيه بعض الفزع ، ويفت في عزمه ٠٠ وشرع يحس بأن تلك الهراوة كانت تثقل بين يديه حتى ليكاد ينوء بحملها ، وبأن وقعها الرتيب يهز مشاعره هزاً عنيفاً ٠٠ بيد انه — مع ذلك كله — لم يكف عن السير ، بل تابعه بأسرع مما كان ، راجياً ان يكبت هذه العواطف الضعيفة الخائرة تتردد في صدره فتوهنه ٠٠

وما كان الليل الا ليتكاثف فيغمره في حلكة رهيبة تتسلل الى قلبه فتطويه في جزع الوحدة ٠٠ واحس بركبتيه تصطكان حتى يكاد ينكب على وجهه ، وأيقن انه لن يتماسك نفسه من السقوط ٠٠

واذ ذاك فحسب ، اشرف على بيت امين ٠٠ بيت امين ٠٠ بيت صغير ، اسمر اللون ٠٠

انشأ سعيد يهتز هزات عنيفة ٠٠ لم يدر ما سبب ذلك ! ٠ كيف يسمح لمثل هذا الشعور ان يسيطر عليه ؟ هو الذي كان يغرق عدوه في بحر من الرعب والخوف ! وكأن هذه الفكرة البعيدة نفخت فيه روح الشجاعة ، فاستطاع ان يتقدم من البيت خطوتين ٠٠

وفجأة ، سقطت يده عفواً على وسطه ، فلامست الخنجر ، فتفجر الرعب من صدره تفجراً ، وجحظت عيناه وهو يتطلع الى شجرة قريبة ، وظل الارتعاش يهد كيانه هداً ٠٠ ثم

تراخت مفاصله ، ووهنت قواه ، واخذ يبغم كالطفل ويتمتم ، وانه لفي هذا ، اذ بنور ضئيل ينبعث من نافـذة البيت الذي يواجهه .. بيت امين .. ثم يتجلى رويداً حتى يبرز واضحاً منيراً .. وفي هدأة ذلك الليل الاخرس ، ينبعث صوت اجش منكر بنغمة مستطيلة فيمزق ستار السكون .

« من هنا ؟؟ . »

فانفتل سعيد جزعاً ، وانشأ يعدو .. كان يركض لا يلوي على شيء ..

وخيل اليه ان الصوت ما زال يتبعه ، فضاعف سرعته .. وكان غريباً حقاً ان يركض رجل ركضة طفل .. كان لا يألو جهداً في الاسراع ، وعلى الرغم من انه قد رمى المراوة ، فان وقعها مـا يزال يرن في اذنيه ، وكأنه هو الاخر كان يردد « — من هنا ؟ » .. وعاودته صورة الرجل يحمل مصباحه ويطل من النافذة .. وسمع ثانية صوت الليل والنجوم المرتفقة في السماء يعيد سؤاله الرهيب .. اذ ذاك فحسب ، استطار رعباً ، واستجن عقله .. واذا هو بعد حين امام داره ..

ولجه باضطراب ، غير ان الخوف الذي عراه في الطريق بدأ يسكن ويهدأ . ولم يوقظ سعيد زوجته خشية ان تلاحظ عليه اضطرابه .. واثار مصباحه بيد ترتجف ، ثم توقف هنيهة ، فاحس برد العرق يتصبب من جسده فيبلل ثوبه .

كان يريد ان يتكلم فلا يتأتى له ذلك .. ومكث في ذلك وقتاً غير يسير ، ثم حمل مصباحه ، ووضعه على نافذته فوق فراشه ، ثم تمدد على مهل وقد خال ان قد ذهب ما به .. وفجأة تذكر ان النافذة ما زالت مفتوحة وها هوذا نسيم الليل يلم بها فيومض المصباح ويخفت ضوؤه .. ولكنه عزم الا يغلقها .

وعلى رغم منه اخـذ يفكر . وكان كل تفكيره وكل تخيلاته محصورة برسم الطريق التي تفضي الى داره .. طريق برز في منعطفها الاول شبح عظيم الجثة ينشر حوله الرعب والخوف ، يندفع اندفاعاً بسورة الغضب وسعر الحنق ..

وظلت مخيلته ترسم له الشبح يقترب رويداً رويداً من داره ، فعاد العرق البارد يتصبب من جبينه .

وفجأة سمع خلف النافذة وقع اقدام ، ولكنه وقع خافت الصوت ، على اوراق شجر يابسة .. وهـذا لم يكن الا ليزيد ارتعاشه واهتزازه .. وسمع حركة على النافذة ، فلم يشك في ان يد الشبح قد وقعت على النافذة ، فاستغشى الغطاء كله ثم سمع صوت المصباح يسقط على مقربة من فراشه ، فينكسر وتتطاير شظاياه فتصيب يده ، ولم يشك في هذه المرة ايضاً بانهـا رصاصة اطلقها الشبح عليه وعلى هذه الفكرة ، هب من فراشه مذعوراً وانشأ يصيح ويصرخ :

— « ها .. ها .. اتى . لقد جاء امين » .

وطفق يرددها بجنون وبصوت كأنه الرعد .

وهبت امرأته من الركن الآخر من الغرفة جزعة مضطربة ، فرأت زوجها يعالج الباب ليخرج ، فما يتأتى له ذلك ، فاسرعت اليه تستفسره وتريد ان تطمئنه ، وما كادت تلمس كتفه لتسأله عما دهاه حتى انتفض منها وانفلت يدور في الغرفة ويصيح بصوت متقطع وجل :

— دعني دعني والا قتلتك ..

فروعت امرأته ، واخذتها حيرة شديدة ، ومكثت مذعورة مشفقة ، واذ بهـا تبصر شبحاً صغيراً اسود يعدو في الغرفة يلتمس مخرجاً هو الآخر وسرعان ما عرفت فيه القط الاسود الذي اعتاد ان يرود حول البيت ويلج الغرفة من النافذة التي يرقد سعيد تحتها . ثم نظرت الى زوجهـا خائبة الظن ، فالفته يتمكن من فتح الباب ، ويخرج ، منطلقاً الى الجبل ولغير عودة ولقد ..

*

وما كاد صديقي عزيز يبلغ هذا المبلغ من قصته حتى الم بنا شبح غريب اثار حركة قوية تشبه هبوب ريح جفول تأخذ الشجر على حين غرة وحين حانت منه الينا التفاتة ، هب يضاعف الخطو ويزف في السير وهو يصيح ويصرخ

— ها . ها . اتى لقد جاء ا

فالفيتني انهض على رغم مني ، دالفاً الى الغابات ، منطلقاً عبر الاحراج كأنما تدفعني الارض دفعاً ومكثت اهبط الجبل كأنني قذيفة .

واذ كنت وشيكاً ان ابلغ الدار ، سمعت قهقهة صديقي عزيز عظيمة مرتفعة ، تصدى بها الغابات

سهيل ادريس

العطش

الى الظمآنة « طرفة البير اديب » (١)

انا يا رمـالُ ، وددتُ لو   كنتُ السرابَ على الرمالِ
بي من دجى المجهولِ حلمكِ   انتِ بالماءِ الزلالِ
وتفلّتٌ من عـالمٍ   جهمٍ تخضّبَ بالسؤالِ
الماءُ فيه على هـدىً   وانا نجيّكِ في ضلالِ
انا يا رمـالُ امرّ بالينبوع ،   بالعطشِ الحلالِ
انكرتُ خطوي في ثراه   فرقّ لي وهفا لحالي
وتراقصتْ قطراتُـه   حرّى ، فقلتُ لها : « تعالي
لي موعـدٌ فوقَ السحابِ   وادّعيكِ غدَ الخيالِ
عودي الى الينبوعِ روّ   ي الارضَ بالخضرِ الدوالي
فيضي حياةَ الوجـدِ في   الآفـاقِ في غورِ الزوالِ
وتسللي عبرَ الشقوق   ورطّي صدر الجبال
فـاذا تراودك السفوحُ   سألتُ خيرك لا تبالي
نهلتْ بواكيرُ الاقاحِ   نـداك في غمر الليالي
فتبرّجتْ حورٌ لهـا   وخطرْنَ مـا بين اللئالي

*

انا يا غريبةُ ، هـنـا   مازلتُ ألهثُ في الأعالي ...

صلاح الاسير

---

(١) راجع ص ٥٢ – عدد آب – الجزء الثامن – الاديب –

بنك سوريا ولبنان

◆

يجري امتحان لقبول موظفين متدرجين في بنك سوريا ولبنان في يومي الاربعاء ٩ والخميس ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٤٢ . مكان الامتحان الخطي : دمشق حلب ، اللاذقية وبيروت . مكان الامتحان الشفهي : دمشق وبيروت . يجب ان يكون طلب التسجيل مرفوقاً بنسخة مصدقة عن تذكرة الهوية ونسخة مصدقة عن الشهادات المدرسية . ان آخر موعد لقبول تسجيل الطالبين هو ٥ تشرين الاول يجوز تقديم طلبات التسجيل بواسطة المراسلة . ان مصاريف انتقال الطالبين لتقديم الامتحانات الخطية هي على عاتق الطالب .

شروط القبول لتقديم الامتحان هي :

ان يكون الطالب من الجنسية اللبنانية اوالسورية . ان يكون عمره ١٨ سنة على الاقل او ٢٥ سنة على الاكثر . ان يكون حائزاً على احدى الشهادات التي يمنح حاملها نقط على الشكل الاتي :

شهادة الدروس الابتدائية .	١
الشهادة التكميلية (Brevet élémentaire) .	٥
الشهادة التكميلية العالية (Brevet supérieur)	١٠
ديبلوم الدروس لغاية الصف الثاني	٣
ديبلوم الدروس لغاية الصف الاول	٥
بكالوريا القسم الاول	٧
بكالوريا القسم الثاني	١٢
الديبلوم الرسمي للدروس التجارية العليا	٥
ديبلوم الدروس العليا لليسه الافرنسية (Lycée Français)	٣
شهادة مسك الدفاتر (من شركة المحاسبة الفرنسية)	٣
شهادة التخرج في الحقوق او الاداب او العلوم	١٥

يجوز جمع هذه النقط على ان لا يزيد مجموعها على العشرين . يجب تقديم الشهادات المذكورة اعلاه في اليوم الاول من الامتحان . يحتوي برنامج الامتحان الخطي على المواضيع الاتية : انشاء باللغة الافرنسية (ساعة واحدة) ٢٠ نقطة . انشاء باللغة العربية (ساعة واحدة) ٢٠ نقطة . عمليتان حسابيتان (ساعة واحدة) ٢٠ نقطة ، حساب سريع (عشر دقائق) ١٠ نقط . تاريخ وجغرافيا (ساعة واحدة) ١٠ نقط . يحق للطالبين ان يقدموا امتحاناً بلغة اجنبية تخولهم الحصول على عشر نقط ويجب عليهم ان يذكروا هذه اللغة عند تسجيل اسمائهم . توضع مواضيع الامتحان التي يقررها مدير فروع سوريا ولبنان بمساعدة لجنة في ظروف مختومة لا تفتح الا عند اجراء الامتحانات بحضور الطالبين . ان الاحتياطات التي ستتخذ لابقاء اسم الطالب مجهولا من فاحصيه هي ذات الاحتياطات التي تتخذ في الامتحانات الرسمية . يجب على الطالبين ان يحصلوا على ٤٠ نقطة على الاقل في الامتحان الخطي لكي يجوز قبولهم لتقديم الامتحان الشفهي ما عدا النقط التي يستحقها بشهاداته وديبلوماته . وكل علامة اقل من خمس نقط على احدى مواد البرنامج يجعل الطالب ساقطاً في الامتحان . تحتوي الامتحانات الشفهية على ما يأتي : سوألات عن اللغة الافرنسية ١٠ (نقط) سوألات عن اللغة العربية ١٠ (نقط) سوألات عن لغة اجنبية اختيارية ١٠ (نقط) . كل علامة تنقص عن خمس نقط في الامتحانات الشفهية تجعل الطالب ساقطاً في الامتحان . قد حدد عدد المتدرجين الممكن قبولهم ١٠ في لبنان و١٠ في سوريه شرط ان يحوز الطالب على ٦٠ نقطة على الاقل من مجموع الامتحانات الخطية والشفهية ويدخل في هذا العدد النقط المخصصة للشهادات والديبلومات . يرأس اللجنة التي تفصل في نتيجة الامتحانات في بيروت مدير فروع لبنان بالوكالة . وفي دمشق مدير فروع سورية تنشر في الصحف اسماء الطلاب الذين يمكن قبولهم للتدرج .

شروط التدرج

يدعى الطالبون الناجحون للقيام بالتدرج حسب درجة نجاحهم بالامتحان . ان مدة التدرج ستة اشهر ، وعند انتهائها فالمتدرج اما يقبل في سلك البنك واما يخرج منه من دون ان يكون له ادنى حق باي تعويض . يقبض المتدرج في مدة تدرجه راتباً شهرياً قدره ١٥ ليرة لبنانية يضاف اليها بدلات غلاء المعيشة وغيرها المعمول بها في البنك . ان البيانات التي بموجبها يتقرر تثبيت المتدرج في البنك اوعدم تثبيته يعطيها رؤساء الاقلام التي يكون المتدرج قد وجد فيها . وهذا القرار يأخذه مدير فروع سوريا ولبنان في جلسة يعقدها مجلس المأمورين وذلك بعد ان يسمع رأي مدير شعبة البنك التي يكون المأمور قد قام بتدرجه فيها . ان التواصي مهما كان نوعها لا ينتج منها للطالب الا الضرر . ان مجلس مأموري البنك هو مجلس البنك العادي ويتألف من : مدير فروع سوريا ولبنان . امين السر العام . مدير فروع سوريا . مدير فروع لبنان .

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

لندن ٢٦ آب — اعلن رسمياً ان الدوق ده كنت شقيق ملك انكلترا لقي حتفه في حادثة طيارة بينما كان قاصداً الى جزيرة ايسلندا . بيروت — وافق مجلس الوزراء اللبناني على التعديل الخاص باجور مستخدمي التجارة باعتبار مرتب عام ١٩٣٩ اساساً لزيادة غلاء المعيشة بدلا من العام ١٩٣٦ . انقره — القى رئيس الجمهورية التركية خطبة في صمصون اكد فيها حياد تركيا واستعدادها التام لمواجهة الطوارى. . لندن — قرر المستر تشرشل دعوة النواب لاطلاعهم في جلسة خاصة على نتائج رحلته الى روسيا والشرق .

القاهرة ٢٧ — استؤنفت المعارك في منطقة العلمين وقامت القوات الحليفة بهجوم موفق ، على ان السكون لم يلبث ان ساد من جديد . لندن — قتل القائد الالماني فون غابز في حادثة جوية في الميدان الروسي ، وقد وصل الروس في زحفهم الى سكة حديد رجيف وحشد فون بوك مليوناً من الجنود لمهاجمة ستالينغراد . القاهرة — احتفلت الامة المصرية بالذكرى السادسة لتوقيع المعاهدة البريطانية المصرية .

بيروت ٢٨ — خطب فخامة الجنرال دي غول فقال ان فرنسا تعطف على استقلال سوريا ولبنان ، وان ايمان فرنسا بالنصر وفوز الحلفاء في هذه الحرب اقوى منه في كل ساعة . موسكو — عين القائد الروسي جاكوف مفوضاً معاوناً في لجنة الدفاع الوطني .

بيروت ٢٩ — عرض فخامة الجنرال دي غول زعيم فرنسا المحاربة الجنود في ساحة الشهداء، وعلق عدداً من الاوسمة على صدور الضباط وصف الضباط والجنود .

ريودي جانيرو ٣٠ — اعلن رئيس جمهورية البرازيل حالة الحصار في جميع انحاء البرازيل . طوكيو — اعلن نبأ استقالة وزير خارجية اليابان السيد توغو لاسباب شخصية . انقره — احتفلت تركيا بعيدها الوطني وقد قام رئيس الوزارة بعرض فرق من الجيش في ارزنجان ، وخطب القائد كاكتس معربا عن استعداد الجيش التركي للدفاع عن مصالح بلاده . بيروت — تلقى فخامة الجنرال ديغول برقيتا تأييد من حاكم افريقيا الاستوائية وحاكم الكامرون بمناسبة الذكرى الثانية لحركة الفرنسيين المحاربين .

القاهرة — اول ايلول — اذيع ان قوات المانية مصفحة تقدمت باتجاه مراكز الجيش الثامن في منطقة العلمين فصدت بعد ان كابدت خسائر كبيرة . بيروت — احتفل بعيد الاستقلال اللبناني وقد خطب رئيس الجمهورية . برلين — وجه هتلر نداء الى الشعب الالماني كي يساعد وطنه في حرب الشتاء المقبل ويبدو من هذا النداء خيبة امله من حوادث العام ١٩٤١ .

لندن ٢ — عرضت اليوم لاول مرة في شوارع لندن القوات الاميركية وخطب الميجر جنرال لي فقال « جئنا الى هنا لنظل خلال الحرب ولنتعاون مع اخواننا وسنعمل المستحيل لكسب الحرب » . القاهرة — تشرف المستر وندل ويلكي ممثل الرئيس روزفلت الخاص بمقابلة جلالة الملك فاروق الاول وسلمه رسالة خاصة من الرئيس الاميركي الاول ثم زار المستر ويلكي القوات الاميركية المرابطة في صحراء مصر الغربية . طهران — بوشر بتنفيذ الاتفاقية المعقودة بين ايران وروسيا بشأن تبادل المواد الغذائية .

الاسكندرية ٤ — اعلن ان خسائر المحور بلغت في البحر الابيض المتوسط منذ ابتداء الحرب مليونين و ٢٥٠ الف طن ، وفقد اربع مدرعات كبيرة وخمسة طرادات متوسطة وخمسين مدمرة ونسافة عدا الغواصات العديدة .

دلهي الجديدة ٥ — خاطب القائد ويفل الشعب الهندي فاشار الى ان مؤتمر موسكو ومؤتمر القاهرة اعادا الثقة بمصير الحرب النهائي وتكلم امير البنجاب وناشد الشعب الهندي بان يظل على تقاليده . لندن — اصدرت الحكومة الالمانية قراراً دعت بموجبه سكان الالزاس واللورين ولوكسمبورغ الى التجند في صفوف الجيش .

فيشي ٦ — اجتمع المسيو لافال بالمكلف القيام بالشؤون الاميركية في فيشي وسلمه احتجاجاً على ضرب الطائرات الاميركية للمدن الفرنسية . برلين — وجه الماريشال غورنغ نداء دعا فيه الى التقليل من استهلاك البترول والكهرباء كيلا تتعرقل صناعة التسليح .

ريو دي جانيرو ٧ — احتفلت الجمهورية البرازيلية بالذكرى المائة والعشرين على استقلالها . واشنطون — عقدت حكومة واشنطون اتفاقاً عسكرياً بينها وبين جمهورية كوبا ينص على تعاون متبادل .

انقره ٨ — وصل المستر وندل ويلكي الى انقره وصرح بانه يحمل رسالة خاصة الى الرئيس اينونو من الرئيس روزفلت .

واشنطون ٩ — اعلم سفير دوقية لوكسمبورج في واشنطون السيد كوردل هل ان دوقية لوكسمبورج انضمت الى المانيا وانه يعترض على ذلك لدى ٢٨ دولة من دول الحلفاء ولدى الدول الحيادية . لندن — اكد راديو روما مصرع القائد الالماني بسمرك في ميدان القتال في صحراء مصر الغربية .

واشنطون ١٠ — صرح كوردل هل بان اميركا احتلت جزر « غالاباغوس » على اثر اتفاق عقدته مع جمهورية الاكواتور صاحبة الحق في هذه الجزر . برن — وقعت ازمة وزارية في بلغاريا وباشر الملك بوريس استقبال الزعماء لحل الازمة الناشبة منذ شهر تموز الماضي . لندن — صرح المستر تشترشل في مجلس العموم ان الموقف في الهند تحسن كثيراً وهو يدعو الى الطمأنينة .

موسكو ١١ — هاجمت اسراب كثيرة من الطائرات الروسية بودابست وبرلين وكونكسبورغ ومدناً سواها في المانيا . لندن — ألقت الطائرات الانكليزية مائة الف قنبلة على مدينة دوسلدورف الالمانية في ليلة واحدة .

موسكو ١٢ — وصلت لجنة علمية روسية الى جبال الاورال لانشاء مصانع جديدة للاسلحة وتوسيع حلقة الصناعات الحربية في تلك المناطق الغنية بالمعادن والمواد الاولية .

لندن ١٣ — نزلت قوات انكليزية جديدة في غربي مدغسكر في جزيرة نوزي وفي مرفأ ماجونكا ، فلقيت مقاومة ضئيلة .

لندن ١٤ — اكد المستر ايمري في مجلس العموم بان الحكومة تستقبل بارتياح كل محاولة ترمي الى توحيد الهند توحيداً وطنياً .

برازفيل ١٥ — وصل فخامة الجنرال دي غول الى افريقيا الاستوائية الفرنسية قادماً من سوريا .

لندن ١٦ — اعترض جميع رجال الدين في فرنسا على اضطهاد اليهود وبنوع خاص اليهود غير الفرنسيين القاطنين في المنطقتين المحتلة وغير المحتلة . موسكو — اعلن ان معركة بالسلاح الابيض دائرة اليوم امام ستالينغراد بين القوات الروسية والالمانية .

فيشي ١٧ — حمل راديو فيشي حملة قوية على المسيو ادوار هريو لانه اعاد وسام جوقة الشرف الذي يحمله احتجاجاً على تسليم مثل هذا الوسام لمتطوعين حاربا في الجبهة الروسية . واشنطون — انذر كوردل هل سفير فيشي في واشنطن بان القرار الذي اتخذه لافال بتجنيد اليد العاملة في فرنسا لخدمة المانيا مساعدة فعالة لاعداء الاميركية المتحدة . بونس ايرس — صدقت لجنة الشؤون الخارجية في المجلس النيابي على قطع العلاقات السياسية بين الجمهورية الفضية وبين دول المحور .

انقره ١٨ — اندلعت نار الثورة في بلغاريا وتدخل الجيش لتوطيد الامن والنظام . صوفيا — دعي جميع البلغاريين المولودين بين سنتي ١٩٢٢ و١٩٢٤ الى حمل السلاح .

القدس ١٩ — وصل الى القدس السيد كاسي وزير الدولة البريطاني في الشرق الاوسط . دمشق — احتفل في حوران بعيد القمح وحضر الاحتفال الجنرال كوله وزير الدعاية والشباب السوري .

لندن ٢٠ — يقول المقر العام للجيش الاميركي المرابط في انكلترا ان بعض المظليين الاميركيين انضموا الى هذا الجيش لتعزيز جنوده المعدين لغزو القارة الاوربية . موسكو — ضربت الطائرات الروسية بنجاح سواحل بحر البلطيك وضاعف الالمان غاراتهم على لينغراد .

موسكو ٢١ — قابل السيد وندل ويلكي السيد مولوتوف روما — قررت الحكومة الايطالية اقفال المدارس طوال اشهر الشتاء .

بيروت ٢٢ — وضع القائد العام الجنرال كاترو تحت تصرف الحكومة اللبنانية مبلغ ٨٠٠ الف ليرة لبنانية تؤخذ من اموال المصالح المشتركة لتنفق في سبيل الاعمال الزراعية والري .

واشنطون ٢٣ — بلغ عدد البوارج الحربية اليابانية التي اغرقت او عطلت في مياه جزر سليمان ٢٢ بارجة . ستوكهلم — اعلن ان هتلر عزل القائد فون بوك من قيادة الجيش الالماني الذي يقاتل في ستالينغراد وذلك منذ اسبوعين .

برن ٢٤ — قررت حكومة سويسرا تطبيق قانون الهجرة ، بكل شدة ، والمعتقد ان مائة الف شخص يحاولون الهرب من فرنسا الى سويسرا ويستحيل على الحكومة السويسرية قبول مثل هذا العدد الى جانب ٩٦ الف لاجيء اجنبي الى سويسرا . استمبول — طلبت الحكومة الايطالية ١٢ طبقة من رعاياها القاطنين في تركيا لحمل السلاح وطلبت منهم السفر فوراً الى ايطاليا . لندن — اوقفت السلطات الالمانية خمسة الاف فرنسي في باريس بتهمة قيامهم باعمال العنف ضد السلطات المحتلة .

موسكو ٢٥ — بعد مرور شهر ونيف على القتال في ستالينغراد لم يقترب الالمان من الفولغا اكثر مما كانوا عليه منذ اسابيع